

المجلد : ٥٣

متحف مارسل سبل الحرث
متحف مارسل سبل الحرث
متحف مارسل سبل الحرث



البَاعِثُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

مجلة إسلامية شهرية جامعية

العدد التاسع المجلد الثالث والخمسون جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ - يونيو ٢٠٠٨م



- ما زال يعني الحوار بين الإسلام والديانات الماضية
- حصبة جديدة لغز و العالم الإسلامي
- البرتوكول بين الزيجات والسلب
- كتاب المكتبات في صوادر المسلمين
- الوسائل الحديثة في خدمة الدعوة إلى إسلامية
- وضع النسخ
- زكاة الحيوان

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol. 53, Issue-8)

(May - 2008)

إصدارات حديثة: البروفيسور معين الدين الأعظمي

رئيس قسم اللغة العربية (سابقاً) وعميد اللغات الأجنبية (سابقاً)
العميد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حسين آبار آند فرايرز (الرسان)

ال نحو
العربي
الأساسي



النشر

مكتبة المهد

كالبكتوت ١، كيرلا - هاتف : ٢٧٣٦٩٦٠٤٩٥ - ٠٤٩٥ - ٢٧٣٦٩٦٠٤٩٥

الاشتراك السنوية

♦ في الهند

٢٥٠/- مائتان وخمسون روبية

ثمن النسخة : ٢٥ روبيه

♦ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥ دولاراً بالبريد العادي

٤٠ دولاراً بالبريد الجوي

**المجلة غير ملزمة
بحل فكر ينشر فيما**

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب. ٩٣ لكانو (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

العبري العاصمي !

العبري العاصمي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وببلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينقص عن كل ما يأخذ من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توثر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتاج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبوه ، ويستنتاج منها نتاج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبري العاصمي الذي لا ينظر إلى الغرب كامام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقررين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلم الغرب منه أفضل مما يتعلم هو من الغرب ، ويحاول أن ينجز - بذاته وجمعه بين حسنتين - الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منها جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبري العاصمي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القيادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القيادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .
(صاحب العملة التدويري رحمه الله)

بسم الرحمن الرحيم

البحث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها :

فقد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

العدد التاسع	○	رئيس التحرير
١٤٢٩ هـ	○	سعير الأعظمي ○ جمادى الآخرى
يونيو ٢٠٠٨ م	○	وأضع رشيد التدويري

الباحث
والكتاب

ندوة العلماء

تألست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص ، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجدid في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين وآحوالهم .
(أبو الحسن علي الحسني التدويري^٢)

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
الباحث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب. ٩٣ - لكانو (الهند)
الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥
الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

مذوبات العدد

الافتتاحية

ما يُعنى الفوارق بين الإسلام والديانات الافقية؟

إنها دراسة سريعة لما تجتاز به الأمة الإسلامية من ظروف قاسية من خلال ذلك العداء القائم بين الإسلام والمسيحية، الذي عرفه التاريخ منذ فجر التاريخ الإسلامي، وكان ذلك سبباً لاستمرارية الحرب اليهودية المشبوهة ضد الإسلام بشكل سري تأمري وغزو فكري تارة، وتارة أخرى بصورة جلية ظاهرة تمثل في الغزوات العسكرية والخروب المبيدة التي يشاهدها الناس اليوم في جميع الإجراءات التي يقوم بها الغرب ويستهدف بها الإسلام بجميع ما يشتمله من تشريع وعقيدة وقيم إنسانية ومثل علياً تربوية دعوية وفكرية، وذلك لمجرد إعداد الإنسان، لقيادة البشرية والوصاية على الكون.

وقد سجل التاريخ العلمي والخلقي ما قد تعمله زعماء الديانات السابقة من الانحرافات والتحريفات المسيئة إلى حرمة الدين وقدسية كتاب الله الأخير القرآن الكريم، ورسوله خاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين الذي تحدث عنه سبحانه وتعالى فصرّح بِعِكَانِتِهِ الْعَالِيَّةِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ مُصْرَحاً وَمُبَيِّنًا بِتِلْكَ السُّعَادَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَفَرَّدَ بِهَا بَيْنَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ: «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ * وَلَكِنَ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ * وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (الأحزاب الآية/٤٠) وَقَالَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ * قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ * أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ * وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضْرُرَ اللَّهُ شَيْئًا * وَسَيَعْزِزِيَ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (آل عمران الآية/١٤٤).

ما يُعنى الحوار بين الإسلام والديانات الافقية؟! سعيد الأعظمي الندوى

التوجيه الإسلامي:

٨ الدكتور محمد بن سعد الشويع الاستشراف بين الإيجاب والسلب
١٤ الأستاذ الدكتور محمد علي بلاسي نكتات المكتبات في حواضر المسلمين

الدعوة الإسلامية:

١٩ الدكتور محمود و . ن . كيرالا الوسائل الحديثة في خدمة الدعوة الإسلامية
٢٨ الأستاذ محمد عارف جميل العبار كفورى من البدويات في القرآن الكريم

دراسات وأبحاث:

٣٧ الأستاذ الدكتور غريب جمعة وضع النهج
٥٠ الأستاذ محمد عمر عثمان الندوى تحقيق إسناد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
٥٩ الأستاذ عبد الرحمن الكواكبي الاستبداد السياسي في كتابات عبد الرحمن الكواكبي

الفقه الإسلامي:

٦٩ الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد زكاة الحيوان
٧٦ واضح رشيد الحسني الندوى حملة جديدة لغزو العالم الإسلامي
٨٣ الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوى مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوى
٨٧ الدكتور أنصار أحمد الأعظمي مزايا الإسلام في شعر محمد عبد المطلب

إلى رحمة الله تعالى:

٩٧ قلم التحرير السيد محشش عبد الغنى ، إلى رحمة الله تعالى
٩٧ الأستاذ الشيخ محمد صديق الندوى الرأي بريلوى في ذمة الله تعالى
٩٨ . . . فضيلة الأخ الشيخ عبد الله الندوى إلى رحمة الله تعالى
٩٩ . . . رحيل والدة الشيخ محمد عامر الحسني الندوى إلى دار الآخرة
١٠٠ . . . والدة الأخ الشيخ أمين الندوى إلى رحمة الله تعالى
١٠٠ . . . فضيلة الحاج إبرام باري في ذمة الله تعالى
... . . .

العالية بحياة مطمئنة يأيتها رزقها رغداً من كل مكان ، وبشر المسلمين بالسلامة من كل خوف وحزن في الدنيا ، وبجنات ونعم في الآخرة ، كما قد وعد بذلك فيما يقول : **«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَسَرَّزُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا * وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تَوَعَّدُونَ»** (سورة فصلت الآية/٣٠).

كيف يسوغ بعد ذلك لزعماء الديانات السابقة أن يبحثوا عن هذه التميزات والأمن والعافية ، وعن جوائز الأمن والسلام ، في غير هذا الدين ، وقد آذن الله تعالى بانقضائه جميع الرسالات الدينية ونهاية الفلسفات الحضارية والاجتماعية بعد رسالة الإسلام الدائمة ودعوته الدينية القائمة ، أما ما نشاهد اليوم من جهود تبذل في الحوار بين الأديان ، فليس هناك دين إلا الإسلام ، وإن الديانات السابقة قد فقدت ماهيتها ووُقعت فريسة التحريفات والتآويلات النفسية ، ولم يبق لها إلا تقاليد وعادات تمثل في الطقوس والرسوم ، التي يتمسك بها أتباعها ، وأبناؤها ، في داخل الكنائس والبيع وإن كانت هي لا تمت إلى تعاليم الأنبياء وأنصارهم من أدركوا عهودهم في الأيام الأولى ، من هذه الديانات ، وخاصة أفراد أمتي اليهود والنصارى ، الذين لم يتزالوا عن مواقفهم من الدين الإسلامي ، ونظروا إليه كمنافس لهم ، من خلال منظار العداء والإساءة إلى حملة دعوة الإسلام والعاملين في مجالها ، وقد بلغوا في ذلك إلى أقصى حد من المنافسة والمناولة ، ورفضوا أن ينضموا إلى صفوف المسلمين ويدرسوا ما جاء في رسالة الإسلام ، من توجيهات سديلة ، وتعاليم مستوعبة لجميع احتياجات الإنسان بصورة مستقلة دائمة ، تتافق وطبيعة البشر من غير تمييز أو تفريق بين جماعة وشعب ، وقد أعلن الله تبارك وتعالى ، ما كانوا يضمرون في نفوسهم ويكتونه نحو هذا الدين الجديد ورسوله خاتم الأنبياء والرسل ، من مقت وكراهية ، فلخير بذلك النبي ﷺ بصيغة التأكيد فقال : **«وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا**

وَلَوْلَا أَنَّ الْدِيَانَاتِ السَّابِقَةِ كَانَتْ مُوقَّةً وَلَوْلَا أَنَّهَا كَانَتْ خَاصَّةً بِأَزْمَنَةٍ مُحَدَّدةٍ وَبِأَمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ ، وَرِسَالَةٍ سَعَاوِيَّةٍ شَامِلَةٍ ، وَدَسْتُورٍ كَامِلٍ يَغْطِي جَمِيعَ احْتِيَاجَاتِ الْإِنْسَانِ ، وَالْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ ، وَمِنْ ثُمَّ كَانَ دِينُ إِلَيْسَامَ دُعْوَةً عَامَّةً تعمُّ الْخَلْقَ كَلْهُ دُونَ أَنْ يَفْوِتَهَا أَيْ جَانِبٌ مِنَ الصَّدْقِ وَالْيَقِينِ ، وَالْوَاقِعِيَّةِ وَالْعَقِيقَةِ ، وَالْتَّعَالِيَّمِ الْوَاضِحَةِ لِجَمِيعِ مَجاَلَاتِ الْحَيَاةِ الْفَرَدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ ، كَمَا تَمْيِيزَ هَذَا الدِّينُ بِالْخَلْوَةِ وَالشَّمْوَلِ وَالْتَّكَامُلِ وَالْاحْتِوَاءِ ، الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ إِيَّادَانَا بِنِهَايَةِ جَمِيعِ الْدِيَانَاتِ وَالْأَنْظَمَةِ وَالْفَلْسُفَاتِ الْحَضَارِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ ، الْإِيَّاهَاتِ الْتَّعْلِيمِيَّةِ وَالْتَّرْبُوَيَّةِ ، وَكُلُّ مَا كَانَتْ لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْتَّعَالِيَّمِ السَّابِقَةِ .

إلا أن ذلك كان مبعثاً لكراهية وغيظ لدى أتباع ملل وخل لم تعد عندها من مقومات الحياة والقيم الإنسانية ، ما يساعد على بناء أمة كاملة زودها الله تعالى بكتاب مقدس خالد مثل القرآن الكريم ، وبسيرة عالية تبقى وتنمو مع الزمان ، وتفاعل مع طبيعة الإنسان في جميع مناحي الحياة ، وهي سيرة خاتم النبيين محمد ﷺ ، التي امتدت برواقها على العالم البشري كله ، وكانت رحمة للعالمين بصورة دائمة ، وارفة الظلل دائمة العطاء ، تطفل الناس على مائدتها ، فشبعوا بما كانوا يفتقرون إليه من مطالب الروح والحسد ، والملاحة والمعنى ، ووجدوا فيه تحقيقاً لبغيتهم ، واستجابة لدعائهم الذي علمهم الله سبحانه في كتابه العزيز ، الذي صرّح به في قوله تعالى : **«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبُّنَا فِي الدُّنْيَا * وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٌ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : رَبُّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً * وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ * أَوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»** (آل عمران الآية/٢٠٢).

فسيظل هذا الباب مفتوحاً على مصارعيه إلى يوم الدين لم يدخل فيه ولكل من يريد أن يدخل فيه ، بجميع ما أودع الله فيه من عز وسعادة ، وهدوء وكراهة ، وأكرم المنتهين إلى بوابة الإسلام

واخترعوا بذلك أسلوباً عجيباً في الأونة الأخيرة، ذلك أن البابا التقى مع جماعة من علماء الإسلام طلباً لإقامة هذا الحوار باسم تقرير الصفوف بين الأديان والمذاهب الاجتماعية الأخرى وأهلها، وسوف لا يكون الغرض من هذا الحوار القائم إلا أن يكون الإسلام تابعاً للكنيسة فيفسح المجال لبناء الكنائس في العالم الإسلامي كما أن المسلمين يبنون مساجدهم في الغرب الخاضع للكنيسة الكاثوليكية.

وقد صرخ الكاردينال الفرنسي "جان لويس توران" رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، في حوار مع صحيفة "زينيت" الإيطالية بأن الهدف من هذا الحوار هو السعي لاقناع المسلمين بفكرة الفصل بين الدين (الإسلام) والدولة، وقال: "من الصعب إجراء حوار حقيقي مع المسلمين لأنهم يعتبرون أن القرآن الكريم، الكلام النصي لله، ولا يقبلون مناقشته بعمق".

ومع هذه البداءة نحو الإسلام وكتاب القرآن ورسوله الأخير خاتم النبيين محمد ﷺ هل يتوقع مع هذه الاعتقادات الفاسلة والاساءات الجارحة أن تكون لهذا الحوار نتائج إيجابية في مجال تقرير الصفوف بين الأديان؟!

بل الواقع أن الإسلام غني عن كل حوار أو مناظرة ثم مساومة، وعن إساءات متتابعة مهما كان مصدرها.

وقد شهد الله تعالى بذلك في محكم آياته: **(قَدْ بَدَأَ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ * وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)** (آل عمران الآية/١٨) ويقول: **(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ * كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ * إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)** (سورة الكهف الآية/٥).

وأ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سعيد الأعظمي الندوى

١٤٢٩/٠٤/١٤

النصارى حتى تتبع ملتهم (البقرة الآية/١٢٠). ومع وجود هذه النفسية العدائية بين أصحاب هذه الملل لا يكون للحوار أي مكسب سوى التعامل معهم للاطلاع على صدق اهتمامهم وعنياتهم بتحقيق أغراض مشبوهة لا صلة لها بالعقيدة والقيم الإيمانية، لا سيما وقد جربنا ذلك في أكبر زعيم روحي البابا الفاتيكان وأحجار اليهود، الذين حاولوا العبث بالإسلام وأهله، والساخرية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد تجلى ذلك بوضوح فيما أدلاه البابا الفاتيكان بنديكيت ١٦، من تصريح بالحق الذي أكنه ضد الإسلام في جامعة ريجنسبرغ في مدينة رايتسبرون الألمانية.

نفت فيها البابا ١٦، سعوماً فتاكه ضد الإسلام ، والهجوم على ذات الله تعالى ورسوله ﷺ ، وقد استغرقت ربع هذه المعاصرة هجوماً لا مثيل له في التاريخ البابوي ، وقد التقينا هنا أربع نقاط من هذه المعاصرة المشبوهة ضد الإسلام :

أولاً: الذات الإلهية ، وقد زعم البابا مشيئة هذه الذات لا تخضع للعقل وللمنطق ، ولا تلتزم حتى بكلماتها الخاصة . **ثانياً:** رسول الإسلام ﷺ الذي رغم البابا أنه لم يأت إلا بكل ما هو سيء وشرير ولا إنساني ، ومن ذلك أمره بنشر دينه بالسيف .

ثالثاً: الجهاد الإسلامي ليس إلا علامةً للعنف والإرهاب . **رابعاً:** القرآن الكريم الذي وصفه البابا آياته بأنها تعليمات أوامر اللئام .

حتى إن الصحافة الغربية علقت على معاصرته : إن البابا تناول الإسلام بذرقة خرقاء ، وإن الموقف الفاتيکاني البابوي من الإسلام ليس إلا مجرد حماقة خرقاء ، (البعث الإسلامي المجلد: ٥٢، العدد: ٨) عام ١٤٢٨هـ .

ومازال الحوار بين الأديان "مسيطرًا على عقول البابويين ،

أغراضها المباشرة ، قلنا : إنها أخفقت لا محالة ، ذلك أنها بعد ما دامت قرنين من الزمان ، بقيت القدس ، في أيدي المسلمين ، وقل عدد الحجاج المسيحيين إلى تلك المدينة ، وزادت خاوفهم ، وقد سخروا تسامح الحكومات الإسلامية ، مع أصحاب الديانات الأخرى ، بسبب المجممات المتالية ، وأثبتت الأيام أن الحضارة الإسلامية أرقى من الحضارة المسيحية ، (١٥ : ٦١) .

ولا ننكر أن بعضًا منهم قد أعجب بالنبي ﷺ وتعاليم شرع الله ، والأخلاق في القرآن (قصة الحضارة لدبورانت ١٢ : ٦٩-٦) وألفوا في الفكر الإسلامي ، ومحاسن الإسلام ، وعقرية الرسول والخلفاء الراشدين وغيرهم من رجالات الإسلام ، وهؤلاء غالبيهم من أهل نصراني صاروا - مع كثرتهم - يدافعون عن الإسلام ، وتعامل المسلمين معهم ، في كل مكان امتد إليه نور الإسلام ، نموذج ذلك تعامل صلاح الدين ، بعد ما انتصر على الصليبيين في ديار الشام ، مما دفع كثير منهم بأن يعتنق الإسلام عن قناعة ، مثل : المستشرق الألمانية "هندكة" صاحبة كتاب : شمس العرب تشرق على الغرب ، المستشرق الفرنسي "رينيه" الذي أسلم وحج عام ١٩٢٧م ، وتسمى بناصر الدين ، وأعجب برسول الله ﷺ ، وبين مكاناته العظيمة ، في كتابه "محمد رسول الله" المستشرق النمساوي وقيل المجري ، واتصل بالملك عبد العزيز - رحمهما الله - وحج عليه مرات ، وله كتب منها : الطريق إلى مكة ، والإسلام في مفترق الطرق وتسمى بـ : محمد أسد . وغير هؤلاء كثير من أسلموا وحسنظن بهم ، من أعمالهم ودفعهم عن الإسلام ، وقد طبعت وترجمت بعض كتبهم التي أحدثت أثراً طيباً ، وهذا من الإيجابيات ، وما ظهر منهم ومن غيرهم ، من جهود ودراسة منصفة صادقة ، للإسلام ودور تعاليمه في إسعاد البشرية ،

التأثير بين الإيجاب والسلب

التوجيه الإسلامي :

(الحلقة الثانية)

بعلم : الأستاذ محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

ولئن كانوا قد اهتموا بالخطوطات والتحقيق ، ومنهج البحث ، فإن أعمالهم هذه ، تعتبر أولية ، وقد دخلت الجامعات العربية هذا الباب بتوسيع ، وأكثر إجادة ، لأن تحقيقهم ينقصه العمق والموضوعية ، كما يلاحظ هذا ، كل من يطلع على نماذج من ذلك . وطرقوا باب الطبع لبعض الكتب الإسلامية والعربية ، بحكم تقدم اختراع الطباعة عندهم ، فأفسحوا الميدان للباحثين المسلمين فيما ينفع من كتب التاريخ والدين بمختلف فروعه ، مما لم يطرقه المستشرون ، وما تقدموا فيه لا يخلوا من هنات تغيير المعنى ، سواء كانت مقصودة أو غير مسلمة بها ، لن يريد الانبهار بأعمالهم ، وتحسينها ، من باب :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساوايا

ولذا فإن من امتزاج الجهد والأعمال ، نرى أن أكثر المهتمين من العرب وال المسلمين ، قد انقسموا في أعمال المستشرين بين حالتين : الرضا إيجاباً ، والنقد سلباً ، لكن كفة السلب والانتقاد ، عند هؤلاء ، ترجح وخاصة فيما يتعلق بالفكرة والعقيدة المرتبطة بالله سبحانه ، لأنها عندهم تطمس محاسن الإسلام ، وأثرها في البشرية ، نموذج ذلك ما صاحب حملاتهم الصليبية الأربع ، من إخفاق ، ارتد عليهم ، يقول دبورانت في قصة الحضارة : إذا نظرنا إلى الحروب الصليبية من حيث

التجويم الإسلامي

بشرة العداوة من تأثروا بأصحاب العداوات المتأصلة، ولم يدرسوا الإسلام الواضح بتعاليمه، وليس عليهم بفك منحرف، أمثل: المستشرق الألماني: فولد زيهير، والمستشرق الإنجليزي صموئيل زويمر والمستشرق الألماني "جوزيف شلخت"، والمستشرق: هاملتون جب، وغيرهم من ألفوا وكتبوا ضد الإسلام، وتجنوا على رسول الله ﷺ، بالأكاذيب، والصور، حتى في كنائسهم، وجذوا في محاولاتهم في تشويعه تعاليم الإسلام، وتحريف الكلم عن مواضع، ويدخل في هؤلاء دعوة التنصير، الذين تبعتهم الكنائس، لبث دعواتهم، التي تصعد على النيل من الإسلام، والكذب في تفسير تعاليمه.

يحسن بكل مسلم أن يتباهي غيره، إلى الحذر من شباهاتهم، والبعد عن مؤلفاتهم، مع توضيح مساوئهم، وتحصين شباب ونساء المسلمين من لحن قوهم، حتى يتعاون المجتمع في رد كيدهم، وعدم الاغترار بتلبيساتهم، ونقض فكرهم الذي يحاولون دسه في المجتمعات، ومن ثم نشره بين المسلمين: إعلاماً وثقافة وفكراً.

لأن الدفاع يجب أن يكون بفهم وإدراك، ونقض أهدافهم بمخاطبة العقول: فكراً بفكر، وثقافة بثقافة، ومنطقاً بمنطق أقوى، وشواهد محسوسة.

ولو أن بعض أولئك المستشرقين قد يدعى بعمله خدمة اللغة العربية، وتراث العرب، وغالبية المنصرين قد يوهمون بأعمالهم أنهم جاؤوا لخدمة الإنسانية، ومن هؤلاء وأولئك، من يدعى بعمله تجليئة تاريخ الإسلام، وتجديد كتابته، وإعادة صياغته، وغير ذلك من دعاوى وشباهات، هي من جهود وأعمال بعض المستشرقين، الذين يريدون النيل من الإسلام، ووصفه بالقصور عن استيعاب شئون الحياة. فإن الذي يجب إدراكه من أعمال وأقوال هؤلاء، تشكيك

ما يعتبر رداً على شباهات المعادين للإسلام، ورسول ﷺ، كما نلموس هذه الأيام، وآخرها الرسوم المستهزلة، بالرسول في الدانمارك، وخطبة بابا الفاتيكان، والنفاثات العدائية التي تهاجم القرآن الكريم، وتصفه بالدعوة للإرهاب، ومعاداة السامية.

ولا نهضم حق من أنصف الإسلام، ودافع عنه، سواء من أسلم منهم، وهم الأكثر، أو بقي على دياناتهنصرانية، وهجوم اليهود والصهاينة، لأن في هذا دلالة، يدرك المسلم مفهومها، من آية في سورة المائدة، عن الرابطة بين المسلمين والنصارى هي قوله تعالى **﴿لَتَجْدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾*** **﴿وَلَتَجْدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِنَا قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾*** **﴿إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾**

(المائدة الآية/٨٢-٨٣). وهذا ما يلمسه المستقر للتعايش بينهم وبين المسلمين قرونًا متطاولة، ويستثنى من ذلك ما حصل من القتاليين في الأندلس، حتى إن مشكلاتهم فيما بينهم، كطوائف، لا يحلها إلا المسلمون: حكامًا وعلماء، سواء في الشام ومصر أو الأندلس، ويرضون بحكم الله ورسوله، وتطبيقه في شئونهم، لأن فيه العدالة ورفع الظلم في أصقاع الأرض.

وقد ذكر المؤرخون والمفكرون المنصفون منهم بخلاف ذلك، وسوف يلمس القاريء ذلك، بما سوف نورده، أما الفئة الثانية، التي تحمل للدس، والنيل من تعاليم شرع الله، وتشويه ذلك بالكذب والافتراء عدواة الدين الله، فهوأ من نهى الله سبحانه عن مجادلتهم، إلا بالتي هي أحسن، وهم الذين ذكرهم الله سبحانه في الآية السابقة،

شباب المسلمين ، خاصة من يتلذذ عليهم ، مباشرة أو وراء وسائل الإعلام المتعده : مقرؤة أو مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ، فإنما يخدمون بني جلدتهم الذي وصفهم الله بحب الفساد والسعى في الإفساد **«وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»** (المائدة الآية/٦٤) . ولئن كان بعض الدارسين لأعمال المستشرقين ، بين منصف ومحايده ومهاجم ، فإننا نرى بعض المؤثرين والمعجبين بأعمالهم يدافعون عن حسن نية ، حسبما ظهر لهم من أعمال بعض المستشرقين ، خاصة المنصفين منهم في الجوانب الإسلامية حيث بأن لهم اهتماماً بشخصية رسول الله ، والدور الذي أداه نحو البشرية - كما ذكرنا من قبل - حتى إن أحدهم ، أخرج قبل سنوات كتاباً عن أبرز مئة شخصية ، غيرت مجرى الحياة ، بالخدمات البشرية الاجتماعية ، وجعل محمدًا رسول الله ﷺ : الأول فيهم .

من حكايات الصعاليك :

جاء في قصص العرب ، نقاً عن الأغاني ، ونهاية الأربع ، أن تأبط شرًا ، ومعه ابن براق وهو من صعاليك العرب ، أغارة على بجبلة ، فاطردا نعمًا ونذرته بهما بجبلة ، فخرجت في آثارهما ، ومضيا هاربين في جبل السراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بجبلة في السهل ، فسبقوهما إلى الوهط بالطائف ، فدخلوا لهما في قصبة العين ، وجاءا وقد بلغ العطش منهما إلى العين فلما وقعوا عليها ، قال تأبط شرًا لابن براق ، أقل من الشرب فإنها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والله إني لأسمع وجيب قلوب الرجال ، تحت قدمي وكان من أسمع العرب وأكيدهم - .

فقال لا بن براق : ذاك وجيب قلبك ، قال تأبط شرًا : والله وجب قط ، ولا كان وجاباً ، وضرب بيده عليه ، وأصلح نحو الأرض يستمع ، فقال : والله إني لأسمع وجيب قلوب الرجال ؟ ، فقل لا بن براق : فإني أنزل قبلك ، فنزل وشرب وبرك ، وكان أقل القوم عند بجبلة شوكة ، فتركوه وهم في الظلمة ، ونزل تأبط شرًا ، فلما توسط الماء وثروا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه ، لما يعلمون من عدوه .

فقال لهم : إنه من أصناف الناس وأشدhem عجباً بعده ، سأقول له : استأسر معى ، فيدعوه عجبه بعده إلى أن يعدوا بين أيديكم ، وله ثلاث أطلاق - يعني أشواط - أولها : كالريح الهابة ، والثاني : كالفرس الجواد ، والثالث : يكتب فيه ويعثر ، فإذا رأيتم منه ذلك ، فخذوه فإني أحب أن يعيد في أيديكم ، كما صرت إذ خالفني ، قالوا : فافعل ، فصالح به تأبط شرًا : أنت أخي في الشلة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلى ، فاستأسروا سني بنفسك في الشلة ، كما كنت أخي في الرخاء .

فضحك ابن براق ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا فلان ، أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول شوط ، مثل الريح كما وصف لهم ، والثاني : كالفرس الجواد ، والثالث : جعل يكتب ويعثر ويقع على وجهه ، فقال تأبط شرًا : خذوه فعدوا عليه بأجمعهم ، فلما نفروا عنه شيئاً ، عدا تأبط شرًا في كتافه ، وعارضه ابن براق فقطع كتافه ، وأفلتا جميعاً (٢: ١١ / وبلغ الأربع ٢: ١٤٢) .
(يتبع)

القرون الوسطى بالكتب واقتنائها ، وعن كثرة المشتغلين بالعلم ، تأليفاً وتحقيقاً وتدارساً - ، يقول : "إن عدد العلماء في آلاف المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية من قربة إلى سرقند لم يكونوا يقلون عن عدد ما فيها من الأعمدة" .

وفي وسعنا أن نستدلل من هذا القول على أشياء كثيرة ، يكفينا منها الآن ما يدل عليه من ضخامة ما خلفه علماء المسلمين - الذين لا يكاد يحصيهم العدد - من تراث علمي وفكري وأدبي ، ابتداء من الرسائل الصغيرة إلى الموسوعات الضخمة (٣) .

ويكفي أن نذكر في هذا الصدد مكتبة قرطبة في الأندلس في عهد المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) ، فقد جمع فيها المستنصر - عن طريق وكلائه في شتى الأقطار الإسلامية - نسخاً مما ألفه علماء المسلمين إلى ذلك العهد ، ويقال : إن هذه المكتبة كانت تضم أربعين ألف مجلد ، هذا يحدث ونحن ما زلنا في منتصف القرن الرابع الهجري ، ولنا أن نتصور كم كانت خزائن "دار الحكمة" التي أنشأها الخليفة العباسى المنصور في بغداد تضم مؤلفات ، وكذلك "دار العلم" التي أنشأها الفاطميون في مصر ، فقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى ، أكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم هذا سوى المكتبات وخرزائن الكتب العامة والخاصة التي لا يمكن حصرها (٤) .

إذن فهو تراث ضخم ، ذلك الذي خلفه لنا العلماء والمفكرون

(٣) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي : د. عز الدين اسماعيل ، (المقدمة) ، ص ٥ ، ط . دار النهضة العربية بيروت ، د. ت .

(٤) المرجع السابق : (المقدمة) ، ص ٦٠٥ .

نُكُبات المُكتَبَاتِ فِي حُواضِرِ الْمُسْلِمِينَ

بقلم أ. د. محمد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد الكتاب)

ليس من الشك أن نشك في أن الخلود الحقيقى لا يوجد في دنيانا إلا في مكتبة إنها الذاكرة الجماعية للبشرية وللإنسانية ، وأعد نفسي أستاذًا فاشلاً للتاريخ إذا لم أقنع الناس بأن المكتبة هدف يستحق أن يعيش الإنسان من أجله ! (١) .

كلّ هذا عن قناعة بأنّ الكتاب - كما يقول الملاحظ عنه - : لا أعلم جاراً أبّر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، - ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقل جنائية ، ولا أحفل أخلاقاً ، ولا أقل خلافاً وإجراماً ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أبعد من مراء ، ولا أترك لشغبٍ ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال - من كتاب ! (٢) .

ولله در القائل :

نَيْرُونَ قَالَ قَوْلَا حَسْبَهُ الْقَوْلُ الْفَصِيحُ
كُلُّ بَيْتٍ لَيْسَ كَتَبَ جَسَدَهُ مِنْ غَيْرِ رُوحٍ !
يَقُولُ مُؤْرِخُ الْحَضَارَةِ الْكَبِيرِ "ولَ دِيُورَانْت" فِي كِتَابِهِ الْفَضْحُ
"قَصَّةُ الْحَضَارَةِ" - وَهُوَ بِصَدِّ الْحَدِيثِ عَنْ شَغْفِ الْمُسْلِمِينَ فِي

(١) كتاب "إنهم يقتلون الأدباء" : محسن محمد ، ص ١١٧ - بتصريف ، ط . مكتبة غريب في القاهرة ، د. ت .

(٢) البيان والتبيين : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ م .

التجويم الإسلامي

المسلمين في الأندلس ، أمر الكاردينال فرانسيسكو خينييث (ت ١٥١٧م) - عرّاف الملكة إيزابيل فانثة غرناطة ، وصاحب النفوذ السياسي الهائل يستعمله من الدين - أمر بإحرق الكتب العربية في ساحة باب البرملة في غرناطة ، ولا سيما ما كان متصلةً بالأدب أو الفكر أو الدين ، وبخاصة المصحف المخطوطة ، بأن تباد كل الكتب العربية نهائياً من كل إسبانيا ، ويفوق عدد المخطوطات التي أحرقت في غرناطة وحدها كل تصور ، وأكثر الباحثين حذراً وعطفاً على الكاردينال ، يقدرها بثمانين ألفاً (٩).

وعلى بعد خمسين كيلو متراً من مدريد شيد سنة ١٥٦٧م دير فخم جمعت إلى مكتبه بقايا نفائس المخطوطات التي سلمت من ذلك الحريق فكانت بضعة آلاف مجلد (١٠) ، "ثم ضم إليها نحو أربعة آلاف مخطوط سنة ١٦٢٠م حين استولى بعض قراصنة الأسبان على مركب للسلطان زيدان سلطان فاس ، كانت تلك المخطوطات في جملة الآثار النفيسة التي سلبوها من ذلك المركب ، وبهذا بلغت المخطوطات في مكتبة الإسكوريال نحو عشرة آلاف مخطوط ، وفي ٧ حزيران عام ١٦٧١م سقطت صاعقة على الدير أحرقت قسماً كبيراً من هذه المخطوطات ، ولم يسلم منها سوى ألفي مجلد لا تزال إلى عصرنا في تلك الخزانة التاريخية" (١١).

(٩) دراسة في مصادر الأدب : ص ٦٨ . ولمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع : يراجع : الفن العربي في إسبانيا وصقلية : للمستشرق الألماني فون شاك ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، الطبعة الثانية - دار المعارف ، سنة ١٩٩٣م . (١٠) المصدر الأدبي واللغوي في التراث العربي : ص ٧ . (١١) نجات في المكتبة والبحث والمصدر : محمد عجاج الخطيب ، ص ٥٤ الهمامش ، ط . بيروت سنة ١٩٧١م .

(٥) نفس المرجع : ص ٧، ٨ .

(٦) المرجع السابق : ص ٦ .
(٧) دراسة في مصادر الأدب : د. الطاهر أحمد مكي ، ص ٦٨ ، الطبعة السابعة - دار المعارف ، سنة ١٩٩٣م .

(٨) مصادر التراث العربي : د. عمر الدقاد ، ص ٢٤ ، مكتبة دار الشرق - بيروت ، سنة ١٩٧٢م .

وكان آخر هذه الكوارث المأساة المريعة التي تعرضت لها مكتبة جامعة الجزائر، حين أضرب المتعصبون الفرنسيون النار فيها عام ١٩٦٢م، خلال حرب الاستقلال البطولية التي خاضها شعب الجزائر، فأتت على جل ما فيها.

وضاعت أعداد هائلة من المخطوطات خلال الثورات الداخلية، والاضطرابات والفتنة، وكانت طابع أواخر العصور الوسطى، و كنتيجة حتمية للاحتضار الثقافي فترت عناء الناس بالمخخطوطات والكتب، ومع المد الاستعماري الأوروبي تعرض ما بقي منها للنهب المستعمرين، عن طريق السرقة أو الغش أو الخداع والاحليلة، ونقلت آلاف المخطوطات إلى دور الكتب الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية، وجامعاتها، وأصبح اقتناء المخطوطات العربية عملاً مرغوباً، وميزة تحرص عليها هذه الجامعات، وبجألاً للتسابق تتنافس فيه (١٢).

وعلى الرغم من هذا كله، ففي العالم العربي اليوم تقام الحفلات لتكريم أشخاص، وتجمع التبرعات لإقامة المستشفيات وغير المستشفيات، ولكننا لم نسمع إنساناً يهب نفسه لبناء مكتبة أو الحافظة عليها، ويقيم الحفلات من أجلها، مع أن "تراث كل أمة هو ركيزتها الحضارية، فهو جذورها الممتدة في باطن التاريخ، ومن أجل هذا تحرص الأمم الناهضة - في تأصيلها لواقعها الجديد - على نبش هذا التراث، واستحياء ما هو صالح للبقاء منه، وما يمكن أن يكون له مغزى ودور فعل في بناء واقعها الجديد" (١٣).

(١٢) دراسة في مصادر الأدب؛ ص ٦٨، ٦٩.

(١٣) ينظر، كتاب إنهم يقتلون الأدباء؛ ص ١١٧. والمصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي؛ ص ٨.

الدعوة الإسلامية :

الوسائل الحديثة في خدمة الدعوة الإسلامية

بقلم : الدكتور محمود . و . ن - كيرلا - الهند
(رقم الحوال: ٠٠٩٥٢٠٩٤٨)

بسم الله الأمـر بالـدعـوة إـلـيـه بـالـحـكـمـة وـالـمـوعـظـة الـحـسـنـة ، وـالـصـلـوة وـالـسـلام عـلـى مـحـمـد مـعـلـم الـكـتـاب وـالـحـكـمـة ، وـعـلـى آلـه وـصـحـبـه الـبـرـة وـالـتـابـعـين لـهـم بـإـلـحـان إـلـى يـوـم الـدـيـن وـالـحـسـاب ، وـبـعـد . إـنـاـنـاـنـاـجـنـاسـ، لـأـنـ طـبـائـعـهـم لـيـسـتـ ذاتـ أـوـصـافـ وـاحـدـةـ، بـلـ هـيـ مـتـصـفـةـ بـصـفـاتـ مـخـتـلـفـةـ، وـلـأـنـ قـلـوبـهـمـ وـأـفـكـارـهـمـ ذاتـ خـصـائـصـ مـتـنـوـعـةـ، وـأـنـهـمـ لـيـسـواـ عـلـى درـجـةـ وـاحـدـةـ، فـمـنـهـمـ أـهـلـ الـخـيـرـ وـمـنـهـمـ أـهـلـ الشـرـ، وـتـخـتـلـفـ الـاتـجـاهـاتـ وـالـمـيـوـلـ بـلـخـتـلـافـ الطـبـائـعـ، فـعـلـىـ الدـعـوـةـ اـسـتـخـدـامـ الـوـسـائـلـ الـلـائـقـةـ الـمـخـتـلـفـةـ حـسـبـ فـطـرـةـ النـاسـ وـطـبـائـعـهـمـ وـمـيـوـلـهـمـ، فـمـعـالـمـةـ الـجـمـيعـ بـنـفـسـ الـمـعـالـمـةـ مـاـ لـاـ يـرـضـهـ الـرـبـ عـزـ وـجـلـ وـلـاـ يـقـرـهـ الـعـقـلـ وـلـاـ تـسـتـقـيمـ بـهـ الـحـيـةـ.

وـكـانـ النـبـيـ ﷺ يـلـقـيـ النـصـائـحـ وـالـتـعـلـيمـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ حـسـبـ مـقـتضـىـ أـحـوـالـ الـمـسـتـعـمـينـ حـوـلـهـ، وـإـلـيـكـمـ الـمـثـلـ الـأـتـيـ، ذاتـ مـرـةـ جاءـ رـجـلـ إـلـىـ النـبـيـ (صـ)ـ "فـقـالـ: أـوـصـيـ قـلـ: لـاـ تـغـضـبـ فـرـدـ مـرـارـاـ قـالـ: لـاـ تـغـضـبـ،" (١ـ)، وـهـنـاكـ نـصـائـحـ ثـمـيـنـةـ قـيـمـةـ أـخـرـىـ كـثـيـرـةـ، وـكـرـرـ النـبـيـ ﷺ هـذـهـ النـصـيـحةـ مـرـارـاـ بـحـسـبـ مـقـتضـىـ حلـ هـذـاـ السـائـلـ، فـهـذـاـ الـوـاقـعـ يـحـمـلـ إـشـارـةـ إـلـىـ أـسـلـوبـ الـدـعـوـةـ بـالـحـكـمـةـ وـالـمـوعـظـةـ الـحـسـنـةـ كـمـاـ أـشـارـ اللـهـ إـلـىـ الـالـتـزـامـ بـهـمـاـ بـقـولـهـ: «أـدـعـ إـلـىـ سـبـيلـ رـبـكـ بـالـحـكـمـةـ»

(١ـ) البخاري - رياض الصالحين - ص ٥٢.

والموعظة الحسنة» (٢) (سورة النحل / ١٢٥).

"الحكمة" هنا فن الوصول إلى القلوب بالإقناع الميسر والقوة المؤثرة ، ففي فن الدعوة لا مبرر لإنذار تارك الصلاة قبل أن يعلم ما الصلاة؟ وما حقيقتها؟ وما ثرتها؟ وما السعادة الروحية والدنوية التي تتحقق بآدائها ، وفوائدها العظيمة لصحة الإنسان البدنية والعقلية والنفسية ، وهكذا لا نكتفي ببيان حكمة الصيام بأنه منهج صحي يشفى الجسم من بعض الأمراض كما أنه وسيلة لكي يشعر الناس برارة الجوع والعطش قبل أن نبين له غاية الصيام الأولى وحكمته الأساسية التي هي التقوى ، وبأنه في جوهرة تربية روحية سامية وليست عادة صحية أو نظاماً غذائياً ، لئلا يرتضي معظم الناس بأصول الصحية المدربة في قاعات جمنازيم (Gymnasium) أو باعتياد الشيء صلحاً ومساءً أو بغير ذلك .

العالم بأشد الحاجة إلى منقذ :

الحوادث الهائلة والواقع المدهشة والجرائم الرهيبة التي تقع في أنحاء العالم كلها تشير إلى أن العالم في أشد الحاجة إلى منقذ من آلامه وفراغه الروحي ، وإلى ما يروي الظمآن الروحاني في العالم كله عامة ، وفي أوروبا وأمريكا خاصة ، المذاهب الزمنية والفلسفات العابرة الموقتة كالوجودية والفطريّة والشيوعية وغيرها لا تكون إلا صيحات في الغابة ، لأنها فارغة عن القوة النفادية في القلوب ولأنها تعقبها نكسات فظيعة ونتائج مهلكة .

وعلى الدعاة والهداة في هذه الفترة المملوقة بالقلق والحريرة أن يصورووا أمام العالم صورة تعاليم الإسلام التي تشيد بالسلام والهدوء

والأمن والسلامة والنجاح الدائم في الدارين ، وأن يفكروا فيما يمنع انتشار موجة التكفير والتفسيق والتبديع التي تؤدي إلى عقائد سفك دماء المسلمين الثمينة وإلى هتك أغراضهم القيمة ولنشر قيم الحب والرحمة ، وحسنظن في عقائد الناس وتسامح المسلمين مع إخوانهم المسلمين ، وإن الناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يجد أنه قد كثرت المصائب وانتشرت الفتن وعم الفساد كثيراً في المجتمعات المسلمة ، وبالتالي فقد ازدادت التحديات في العالم الإسلامي ، فعلى الداعي أن يستعد لمواجهة هذا الأمر بالتسليح بالعلم الشرعي الصحيح من مصادره الصحيحة ، وذلك لتنوير أمته وتعليمها أصول دينها الصحيحة وتبلیغها رسالتها الحقة حتى يراها أمة وسطاً في أمن وأمان ، ونعمه وبهجة وسرور وليرى المسلمين هم الأعزاء .

استخدام وسائل الاتصالات الجديدة :

ولا يليق للدعوة المسلمين أن يغفلوا فوائد امبراطورية تقنية المعلومات في العالم الحاضر وفي أنحاء نواحي حياة الإنسان ، فردية كانت أم جماعية ، قبل أن يغلب أعداء الإسلام باستخدامها لهم ولتدمر شعائر الإسلام ومظاهره من العالم حتى من الدول الإسلامية ، لا بد للدعاة الإسلام أن يستفيدوا منها استفادة تامة ، لنشر حقائق الإسلام ولتأييد شعائره وثقافته في الجميع ، وما يبيّنه الكاتب الشهير الحديث "محمد علي بن إسماعيل مصلوخ" في مقالته يشير إلى قوة تأثير امبراطورية تقنية المعلومات في العصر الحديث ، وهو يقول : "إن طلائع المستقبل تنبئ بقدوم امبراطورية تقنية المعلومات ، فقد أصبح من الملائم الأساسية الملحوظة للعصر الحالي ، أنه عصر المعلومات الذي سوف يتضخم ليكون عصر التغيرات التي تحدث على مستوى الدول والمؤسسات والمجتمعات الإنسانية ، ولوسوف يترتب على هذه

الأعراض والأعمال الإرهابية والمتطرفة ، وبالحقيقة تقع هذه الحوادث في مجتمعات العالم كجزء من أجزاء نتائج الحياة الاجتماعية ، وهذه الوسائل تغفل عن البرامج الحسنة أو الأعمال الصالحة أو النشاطات الخميلة التي يقدمها الشعب الإسلامي في العالم من ركن إلى ركن آخر ، وهي أيضاً تتجاهل التعاليم القرآنية والأحاديث النبوية التي تبعث على الأعمال الصالحة والنشاطات الإنسانية الإيجابية ، وبدلأ منها تقدم أمام العالم الأجزاء المقطوعة من آيات القرآن والأحاديث مزروعة بالأكاذيب والأباطيل والافتراءات للاستهزاء بالإسلام وأهله . وما لديهم من المعارف أو الأخبار المتعلقة بالإسلام والمسلمين مملوءة بالأكاذيب والافتراءات والأوهام ، وهي منقولة بأيدي الأعداء الذين يريدون خنق الإسلام والمسلمين والقضاء عليهم ، فلذلك علينا أن نستفيد أي فرصة نجدها خلال احتلاطنا معهم لإظهار الحقيقة أمامهم ، ولنراهم مقلبين على الإسلام بعد أن عرفوا أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله ، **(وَمَنْ يَتَّسِعُ غَيْرُ إِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (٤) .

وأما الثقافة الأخرى التي تقدم للصغار منها قلقا ، وللبار ليلي ساهرة ، وللأمehات هماً وغماً ، وللأمehة آلاماً وأحزاناً ، فهي مقبولة لدى وسائل الإعلام العالمية بغير قيد وشرط ، لأن الشيطان زين لهم أعمالهم .

وسائل الاتصال تجذب نسبة جيدة من المشاهدين ، وكل طائفة من الأديان والمذاهب والجنات والهيئات تحاول أن تستفيد منها لنشر دعوتها وعقائدها ونشاطاتها خلال البرامج الجذابة التي تعدّها وتنقلها

النقلة المعلوماتية التي سوف تشهد لها المؤسسات الخدمية تحولات اقتصادية وتقنية واجتماعية ، فمن يملك المعلومة يستطيع أن يوجه تلك التغييرات كي يصب في صالحه ، فالمؤسسات المتقدمة تتميز حالياً بأن المعلومة متوافرة لديها ، ومتيسر تدفقها بين أركانها بصورة منتظمة من مكان إلى مكان آخر " (٣) .

لكل من المخترعات والمكتشفات نتائج إيجابية وسلبية ، وفوائد حسنة وسيئة ، ولكن في العادة حين يستفيد منها الإنسان تغلب النتائج السلبية والسيئة على النتائج الإيجابية ، فالتلفزيون مثلاً تستخدم للترفيه واللهو أكثر استخدامها بها للمعرفة ، والهاتف موبائل آلة مفيدة جداً ، لا شك فيه ، ولكن استعمالها في سبيل الهلكة والحرام سائد ليس بين الفتيان والشبان فقط وإنما بين الكبار أيضاً وهكذا "الإنترنت" واستعمالها في سبيل الشر والفالحنة تنتشر بين الشبان كالوباء ، ومعظمهم فريسوها ، ومعظم أوقاتهم وأموالهم ينفق لاستعمالها في اللهو ، والألعاب التي توبق الأموال والأوقات ، فلا بد لهنـة النزعة القبيحة السيئة من الحد عليها وكبح جماحها ، لئلا يصير الأولاد المسلمين والشبان منهمكين في الحرام تماماً ، فترجع مناهج الحياة الجاهلية الأولى وتترجمها بشكل عام وشامل .

وسائل الاتصالات في أيدي الأعداء :

وكل وسائل الاتصالات العالمية في أيدي أعداء المسلمين تصور صورة مخيفة وترسم رسماً مشوهاً عن الإسلام والمسلمين ، وليس عندهم أخبار عن الإسلام سوى أخبار القتل والغصب وهتك

(٣) مقالة محمد علي بن إسماعيل مصلوخ - مجلة الحج والعمر وزارة الحج ، المملكة العربية السعودية - شعبان ١٤٢٤هـ ص ١٧ .

البحث الإسلامي**الدعوة الإسلامية**

والأخلاقية ، وعلى شئون الأسرة المسلمة وال التربية الدينية ، وعلى معلومات موجزة عن مناطق ومشاريع مقدسة كمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعلى التراث الإسلامي وتاريخ القدماء من العلماء والأطباء العرب الماهرين والنابغين .

٢- إنشاء القنوات الإسلامية :

ومنها إنشاء القنوات الإسلامية (Islamic Channels) في أنحاء العالم كلها مع الصفحات الخاصة لإبراز حقائق الإسلام ، والديانات والحضارات الأخرى بالقنوات .

٣- الاستفادة من الإذاعة :

لا بد للدعاة أن يستفيدوا من الإذاعة أيضاً ، لأنها وسيلة وحيلة ذات الاهتمام الشعبي لدى كثير من الناس ، ومعظم عامة الناس يعتمد على هذه الوسيلة للحصول على المعرفة وللاطلاع على الأخبار الحديثة لسهولة حملها ونقلها ، حتى في هذا الزمان الذي يشهد التطور الهائل في وسائل الإعلام .

٤- عقد الندوات والمحاضرات والحفلات وغيرها :

ومن الأعمال المفيضة عقد الندوات وإلقاء المحاضرات ونشر الأخبار وإذاعة البرامج الإسلامية عالمية ودولية وأهلية ، بوسيلة إنترنت وتلفزيون وراديو والجرائد والمجلات وغيرها حول الموضوعات المتعلقة بثقافته وتعاليمه ، وعقد المسابقات العامة حولها تبعاً لها ، مع الجوائز الثمينة الجذابة للناجحين من المسلمين وغير المسلمين ، ومنح الجوائز الثمينة التي يجذب غير المسلمين إلى هذه البرامج التي تصور لهم صورة الإسلام والمسلمين الحقة ، والأخبار الصادقة التي تؤدي بالنتيجة إلى اعتنائهم بالإسلام بغير إكراه ، ومنها عقد الحفلات بحلول

بوسيطة التلفزيون والإنترنت ، في هذا المجال تفوق الطوائفنصرانية واليهودية على سائر الأديان ، وأما المسلمون فهم مختلفون وراءهم على بعد كبير ، فليغتنم دعوة الإسلام أي فرصة يجدونها لنشر دعوتهم .

فعلينا أن نواجه هذه التحديات بتقديم البرامج التطبيقية العلمية والثقافية ، وليس هناك طريقة مؤثرة وجذابة وفعالة سوى اعتماق الثقافة والحضارة الإسلامية وتطبيقها على كافة نواحي حياة المسلمين بأنفسهم ، وإذا فعلوها فلا شك - أنه يأتي بنتائج طيبة وتأثير قوي في المجتمع .

ومن الخطط الحديثة الفعالة والمؤثرة في العصر الحاضر ما يأتي :**١- إنشاء الواقع :**

استخدام المصادر التقنية الحديثة من شبكة الإنترت (Internet) والشبكة الداخلية (LAN) والأقراص المدمجة (C.D) ييسر تنظيم البرامج والخدمات والنشاطات والأعمال الدينية للمؤسسات واللجان والهيئات ، وهي تضمن تحقيق السهولة والسرعة في التداول بالحصول على المعلومات المتعلقة بها وتنمية العلاقة بين المؤسسات والهيئات وتبادل الاتجاهات العلمية المعاصرة بينها .

ومن الأمور الهامة تدشين الواقع الجديد على شبكة الإنترت باللغة العربية بتجنب اللغة الإنجليزية في شتى أنحاء العالم بمصدر موثوق وشامل حول الثقافة الإسلامية والتعليم الديني ، فلترسم خطط قوية فعالة لنشرها بواسطتها ، ولا بد أن تحتوي على الإسلام وأركانه ومقاصده السامية ، وعلى توجيهاته الاقتصادية والسياسية والعلمية

النفيسة إلى الأحباء والأعزاء والجيران من المسلمين عامة، وإلى غير المسلمين خاصة، ولا بد أن تكون المدايا حاملة الرسالة الإسلامية الحميدة.

الاختتام :

إن نجاح هذه الخطط منوط بالتنسيق مع الأجهزة اللائقة، وبالعمل الجماعي المتكامل بالشكل المميز بين الهيئات واللجان المختلفة العاملة في مجال نشر دعوة الإسلام، وتقديم الوسائل المقرورة والمسموعة والمنظورة بشكل ملائم ومحبب، وبرصد الميزانيات المشرفة للبحوث والدراسات لعموم مجالات الدعوة واشتراك جميع المؤسسات والشركات والمصانع والبنوك في دعم تلك البحوث وما يشابهها وتقويتها، وبالوسائل المادية والمعنوية التي تنهض بها، ومن مقتضى العصر الحديث دعم كل اللجان والمعاهد والمؤسسات التي تعمل في مجال الدعوة مادياً ومعنوياً، والتمسك بكل ما أضمه التراث الإسلامي ورفض طاعة ما يملئه الغربي.

وهناك أغنياء كثيرون بين المسلمين ذوي أموال باهظة، والنبي تفقد الأمة في أنحاء العالم الإسلامي كله هو الخطط السليمة والنافعه الخثة لإنفاقها في سبيل الخير والمصلحة، ومعظم أموالهم ينفق لإطالة المباني السكنية، ولبناء المساجد المشبهة بالقصور، ولشراء آلات الملاهي والألعاب وعقد حفلات زواجية مبذلة ومسفرة، وكثير منهم صاروا إخوان الشياطين بسبب تبذيرهم وإسرافهم، أعادنا الله وهدانا إلى سوء السبيل.

المناسبات اليومية مثل يوم الأمهات، يوم الأطفال، يوم الأيتام، زرع الأفكار منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كان له صدقة" (مسلم) وغيرهما حتى يتحقق أن هذا الدين دين ذو تعاليم حسنة وجميلة لائقة ومناسبة بهذا العصر الحديث، وبأن هذا الدين ليس دين التطرف والإرهاب.

التسمية بالأسماء الإسلامية :

تسمية الأماكن والدكاكين والمؤسسات والمباني والمستشفيات والشوارع والجامعات والكليات والمدارس والمعاهد والشركات والنوادي بأسماء دينية، ذات معانٍ جليلة عربية أو أهمية تاريخية أو دينية، وفي هذا المجال تفوق النصرانية التي تذكر أتباعهم بقداسة آهاتهم وديانتهم، وبعظمة زعمائهم ونسائهم الكرمات لديهم.

وللشوارع أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع، فهي المكان الأول بين فرد وأخر، بين مجموعة وأخر، وهي المكان الهام المشترك للجميع، الجماعة فيها تحد نشاطها وسلوكيها وأخلاقيتها، فكذا اللافتات الراسخة في الشوارع والجدران المكتوبة فيها الأسماء والإرشادات وال تعاليم المنسوبة بالدين وبرجاله وعاداته ومعلوماته تنقل إلى الجماعة أفكاراً ذات قيمة وأهمية.

تقديم العدايا والتذكارات :

من وسائل نشر الدعوة المفيلة إهداء الأشياء الجميلة والتحف

الثاني : أن المراد من الثاني غير الأول فليس فيه تكرار .
يقول ابن عاشور : قوله : **«وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»** يتعين أن

يكون المراد من البعض هنا واحداً من الرسل معيناً لا طائفة ، وتكون الدرجات مراتب من الفضيلة ثابتة لذلك الواحد : لأنه لو كان المراد من البعض جماع من الرسل مجملأ ، ومن الدرجات درجات بينهم لصار الكلام تكراراً مع قوله : **«فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»** : ولأنه لو أريد بعض فضل على بعض لقل : ورفع بعضهم فوق بعض درجات كما قال في الآية الأخرى : **«وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ»** (الأنعام الآية / ١٦٥) وعليه فالعدول من التصرير بالاسم أو بالوصف المشهور به لقصد دفع الاحتشام عن المبلغ الذي هو المقصود من هذا الوصف ، وهو محمد ﷺ والعرب تعبّر بالبعض عن النفس كما في قول لبيد :

تراك أمكانة إذا لم أرضها

أو يعتلق بعض النفوس حمامها
أراد نفسه .

وعن المخاطب كقول أبي الطيب

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة :

ففي الناس بوقات لها وطبول

والذي يعين المراد في هذا كله هو القرينة كانطبق الخبر أو الوصف على واحد كقول طرفة :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أني

عنيت فلم أكسل ولم أتبلي

وقد جاء على نحو هذه الآية قوله تعالى : **«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَلَّنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ»** (الإسراء الآية / ٥٤-٥٥) عقب قوله : **«وَإِذَا قَرَأْتَ**

من البدهيات في القرآن العظيم

الحلقة الأولى
يعلم : الاستاذ محمد عارف جميل المبارك فوري
(إمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة)

١- قال الله تعالى **«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مِّنْ كَلْمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرِيْمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدَنَا بِرُوحِ الْقَدْسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَلُوا وَلَكِنْ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ»** (البقرة الآية / ٢٥٣).

الأولى : فإن قيل : المفهوم من قوله : **«وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»** هو المفهوم من قوله : **«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»** فما الفائدة في التكرير ؟ وأيضاً قوله : **«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»** كلام كلي ، قوله بعد ذلك **«مِنْ كَلْمَ اللهُ»** شروع في تفصيل تلك الجملة ، قوله : **«وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»** إعادة لذلك الكلي ، ومعلوم أن إعادة الكلام بعد الشروع في تفصيل جزئياته يكون مستدركاً ؟

الأول : أن قوله : **«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»** يدل على إثبات تفضيل البعض على البعض ، فاما أن يدل على أن ذلك التفضيل حصل بدرجات كثيرة أو بدرجات قليلة فليس فيه دلالة عليه فكان قوله : **«وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ»** فيه فائدة زائدة فلم يكن تكريراً ذكره الرازي ، (١) .

(١) الرازي / ٥٢١ / ٦ .

٩ - ج ٥٣ جمادى الآخرى ١٤٢٩ هـ

القرآن جعلنا بينك وبينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً
إلى أن قال : «وَقُلْ لَعِبَادِي يَقُولُوا أَتِيَ هِيَ أَحْسَنُ» إلى قوله : «وَلَقَدْ
فَضَلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ» (الإسراء الآية/٥٤-٥٥) ، وهذا إعلام
بأن بعض الرسل أفضل من بعض على وجه الإجمال وعدم تعين
الفاضل من المفضول ؛ ذلك أن كل فريق اشتراكوا في صفة خير لا
يخلون من أن يكون بعضهم أفضل من بعض بما للبعض من صفات
كمال زائدة على الصفة المشتركة بينهم ، وفي تمييز صفات التفاضل
غموض ، وتطرق لتوقع الخطأ وعرض ، وليس ذلك بسهل على
العقل المعرضة للغفلة والخطأ ، فإذا كان التفضيل قد أنبأ به رب
الجميع ، ومن إليه التفضيل ، فليس من قدر الناس أن يتصدوا لوضع
الرسل في مراتبهم ، وحسبهم الوقوف عندما ينتبهم الله في كتابه أو
على لسان رسوله ، (٢) .

واستظهر هذا القول الزمخشري حيث قال : «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ» أي منهم من رفعه على سائر الأنبياء ، فكان بعد تفاوتهم
في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة ، والظاهر أنه أراد محمداً ﷺ ،
لأنه هو المفضل عليهم ، حيث أotti ما لم يؤته أحد من الآيات
المتكاثرة المرتقة إلى ألف آية وأكثر ، ولو لم يؤت إلا القرآن وحله
لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أotti الأنبياء ، لأن المعجزة الباقية
على وجه الدهر دون سائر المعجزات .

وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى ، لما
فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه ، والمتميز الذي لا
يلتبس ، ويقال للرجل : من فعل هذا ؟ فيقول : أحدهم ، أو بعضكم
يريد به الذي تعرف واشتهر بنحوه من الأفعال ، فيكون أفحى من

التصریح به ، وأنوہ بصاحبه .
وسائل الخطیئة عن أشعر الناس ، فذكر زهیراً والنابغة ، ثم
قال : ولو شئت لذكر الثالث ، أراد نفسه ، ولو قال : ولو شئت
لذكر نفسي ، لم يفخم أمره ، (٣) وذكره الألوسي أيضاً ، (٤) .
الثالث : قال ابن عطیة : ويحتمل اللفظ أن يراد به محمد وغيره من
عظمت آياته ، ويكون الكلام تأكیداً للأول ، وذكره أيضاً الزمخشري ،
والألوسي ، (٥) .

الثانية من البدهيات في هذه الآية :

فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله : «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَتُهُ» ؟
قلنا : الجواب من وجوه :
الأول : قال الواعدي رحمه الله تعالى : إنما كرره تأكيداً للكلام وتكذيباً
لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولم يجر به قضاء ولا قدر من
الله تعالى ، ذكره الزمخشري ، والرازي ، وابن عاشور وأبو حیان ، (٦) .
ذكره الألوسي أيضاً وتحدث عن فائدة هذا التأكيد فقال :
والأكثرون على أنه للتاكيد إلا أن وراءه سرًا خص منه - كما ذكره
صاحب "الانتصار" - وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على
مقصد ثم اعترضها مقصد آخر ، وأرادت الرجوع إلى الأول طردت
ذكره إنما بتلك العبارة أو بقريب منها ، وذلك عندهم مهيع من
الفصاحة مسلوك وطريق معبد ، وفي كتاب الله تعالى مواضع من ذلك
منها قوله تعالى : «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ

(٣) الزمخشري في تفسير الآية .

(٤) الألوسي ٣٢ .

(٥) البحر الخيط ٦٠١/٢ ، والکشاف تفسیر الآیة ، والألوسي ٣٢ .

(٦) الزمخشري تفسیر الآیة ، والرازي ٥٢١/٢ ، وابن عاشور ١٣٣/٢ ، والبحر الخيط ٦٠٣/٢ .

مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا (النحل الآية ١٠٦) وهذه الآية من هذا النمط فإنه لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم لما طال الكلام وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع وهو المعبّر عنه في قوله تعالى : **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** طرأ ذكر تعلق المشيئة بالقتل ليتلوه عموم تعلق المشيئة ليتناسب الكلام ويقرن كل بشكله وهذا سر يشرح لبيانه الصدر ويرتاح به السر ، ولعله أحسن من القول بأن الأول بلا واسطة والثاني بواسطة المؤمنين أو بالعكس ، هذا وفي الآية دليل على أن الحوادث تابعة لمشيئة الله تعالى خيراً كانت أو شرًا إيماناً أو كفراً ، (٧).

الوجه الثاني : لا توكيد لاختلاف المشيئتين ، فالأولى : ولو شاء الله أن يحول بينهم وبين القتل بأن يسلبهم القوى والعقول ، والثانية : لو شاء الله أن يأمر المؤمنين بالقتل ، ولكن أمر وشاء أن يقتتلوا ، وتعلق بهذه الآية مثبتو القدر ونافوه ، ولم يزل ذلك مختلفاً فيه حتى كان الأعشى في الجاهلية نافياً حيث قال :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل

وولي الملامة الرجال

وكان لبيد مثبتاً حيث قال :

من هداه سبل الخير اهتدى

ناعم البال ومن شاء أضل

ذكره أبو حيان ، (٨).

وإلى عدم التكرير مال أبو السعود حيث يقول الألوسي :

(٧) الألوسي ٣٢.

(٨) البحر الخيط ٦٠٣/٢.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف المستتبع للقتل عادة **مَا افْتَتَلُوا** وما رفعوا رأس التطاول والتعالي لما الكل بيد قهره فالتكريير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى ولو شاء الله بعد ذلك عدم اقتتالهم **مَا افْتَتَلُوا** كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل : **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه عنه مانع كذا قرره المولى أبو السعود قدس سره وهو من الحسن بمكان إلا أنه قد اعترضه العلامة عبد الباقي البغدادي في "تفسيره" بنحو ما تقدم آنفاً في نظير هذا القياس ، وذكر أنه خلاف استعمل (لو) عند أرباب العربية وأرباب الاستدلال ، ولعل الجواب عن هذا هو الجواب عن ذلك مع أدنى تغير فلا تغفل ، وما ذكره من توجيه التكريير مما تفرد به فيما أعلم ، (٩).

١- قال الله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** (البقرة الآية ٢٥٤) والبدهي هنا أن الرزق لا يكون إلا من الله تعالى فما فائدة التصريح به ؟

والجواب أن التعرض لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق كما في قوله تعالى : **وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ** ، ذكره ابن عاشور وأبو السعود والألوسي ، (١٠).

٢- قال الله تعالى : **لَا تَأْخُذُوهُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا** (البقرة الآية ٢٥٥) السنة : ما يتقدم من الفتور الذي يسمى النعاس . فإن قيل : إذ كانت السنة عبارة عن مقدمة النوم ، فإذا قال : **الْقِيُومُ لَا**

(٩) أبو السعود ٣/٢٤٥؛ والألوسي ٢/٤.

(١٠) أبو السعود ٣/٢٤٥؛ والألوسي ٣/٤؛ وابن عاشور تفسير الآية .

كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ
تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ يَأْخِذُونَ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ» (البقرة الآية/ ٢٦٦).

والبدهي هنا أن عدم قصد الخبيث للإنفاق مفهوم من قوله :
«أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ» فما الفائدة في إعادة ذكره ؟
أجاب عنه أبو حيان فقال : هو مؤكد للأمر ، إذ هو مفهوم من قوله : **«أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ»** وفي هذا طلاق بذكر الطيبات والخبيث ، (١٣) .

٤- قال الله تعالى : **«إِنْ تُبْدِوَا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفَّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمْعَلُونَ خَيْرًا»** (البقرة الآية/ ٢٧١).

من العلم بأن الصدقة لا تكون إلا للفقراء ، وأن الصدقة المبداة أيضاً تعطى للفقراء فما فائدة التقييد به في الصدقة الخفية ؟ وقد توقف المفسرون في ذلك على أقوال :

الأول : "كان نكتة ذكره هنا أن الإبداء لا ينفك عن إيتاء الفقراء ، لأن الفقير يظهر فيه ويكتسب عن غيره إذ يعلمه الناس بحاله ، بخلاف الإنفاق ، فاشترط معه إيتاؤها للفقير حتى على الفحص عن حل من يعطيه الصدقة" أي لأن الحريصين - من غير الفقراء - يستحبون أن يتعرضوا للصدقات الظاهرة ولا يصدّهم شيء عن التعرض للصدقات الخفية ، ذكره ابن عاشور ، وعزاه للعصام وذكره أيضاً - الرازى وأبو حيان ، وأبو السعود والألوسي ، (١٤) .

(١٣) أبو حيان تفسير الآية.

(١٤) ابن عاشور تفسير الآية؛ والرازى /٦١٧؛ وأبو حيان /٦٩١؛ وأبو السعود /٢٦٦؛ والألوسي /٤٤٣.

تَأْخُذُوهُ سِنَةً» فقد دل ذلك على أنه لا يأخذنـه نوم بطريق الأولى وكان ذكر النوم تكريراً ؟

وأجيب من وجوه : الأولى : تقدير الآية : **«لَا تَأْخُذُوهُ سِنَةً»** فضلاً عن أن يأخذنـه النوم ، ذكره الرازى ، (١١) .

الثاني : قال ابن عاشور : ونفي السنة عن الله تعالى لا يعني النوم عنه لأن من الأحياء من لا تعرّيه السنة فإذا نام نام عميقاً ، ومن الناس من تأخذنـه السنة في غير وقت النوم غلبة ، وقد تماذحت العرب بالقدرة

على السهر ، قال أبو كبير :
فأدت به حوش الفؤاد مبطناً
سهدأ إذا ما نام ليل الهوجل

والمقصود أن الله لا يحجب علمه شيء حجاً ضعيفاً ولا طويلاً
ولا غلبة ولا اكتساباً ، وقد رد ابن عاشور القول الأول فقال : "فلا
 حاجة إلى ما تطلبه الفخر ، والبيضاوى من أن تقديم السنة على النوم
 مراعى فيه ترتيب الوجود ، وأن ذكر النوم من قبيل الاحتراس ، وقد
 أخذ هذا المعنى بشار وصاغه بما يناسب صناعة الشعر" فقال :
 وليل دجوجي تنام بناته

وابناؤه من طوله وربائه
 فإنه أراد من بنات الليل وأبنائه الساهرات والساهرين
 بمواطبة ، وأراد بربائب الليل من هم أضعف منهم سهراً للليل لأن
الربيب أضعف نسبة من الولد والبنت ، (١٢) .

٣- قال الله تعالى : **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا**

(١١) الرازى /٨٧-٩.

(١٢) ابن عاشور تفسير الآية.

دراسات وأبحاث :

وَضْمَحُ الْفَهْجَ

شرح قصيدة نهج البردة للأستاذ الأكاديمي الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر *

(الحلقة السادسة)

بقلم: الأستاذ الدكتور غريب جمعه
(جلة - المملكة العربية السعودية)

(٦٦) يا جاهلين على الهادي ودعوه
هل تجهلون مكان الصادق العلم

(٦٦) العلم: الظاهر المشهور، بالجهلون على الهادي: المتكبرون،
المذكورون، المتعنتون، والاستفهام في قوله: هل تجهلون: استفهام
إنكاري.

المعنى: التفت إليهم يؤذن لهم على إعانتهم للرسول ﷺ وردهم دعوه
 وعدم إذاعتهم لقوله فقل: كيف تنكرون الداعي إلى الحق وتكتذبون
مقالته وأنتم أعلم الناس بموضعه من الصدق وتنتزه عن قول الزور.

(٦٧) لقبتموه أمين القوم في صغر
وما الأمين على قول بمحفهم

(٦٧) المعنى: كنتم وهو ﷺ في شباب سنّه تلقونه بالأمين فتقولون

(*) هو: سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشري شيخ الأزهر من فقهاء
المالكية ولد عام ١٢٨٤هـ الموافق ١٨٦٧م في قرية محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت
بمديرية (محافظة) البحيرة بمصر، وتعلم وعلم في الأزهر، وقد تولى نقابة المالكية ثم
مشيخة الأزهر مرتين، توفي بالقاهرة عام ١٣٣٥هـ = ١٩١٧م، له بالإضافة إلى هذا
الشرح: "المقامات السننية في الرد على القادح في العثمة النبوية" لم يطبع، قال صاحب
الأعلام: رأيته في خزانة الرباط (الأعلام، لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين
- بيروت - الجزء الثالث، الطبعة ١٥ عام ٢٠٠٢م).

الوجه الثاني: قال الحفاجي: "لم يذكر الفقراء مع المبداة لأنه أريد بها
الزكوة ومصارفها الفقراء وغيرهم، وأما الصدقة المخفة فهي صدقة
التطوع ومصارفها الفقراء فقط" ، ذكره ابن عاشور ورده بأنه ضعيف
لوجهين:

أحدهما: أنه لا وجه لقصر الصدقة المبداة على الفريضة ولا قائل به
بل الخلاف في أن تفضيل الإخفاء هل يعم الفريضة أولاً .
الثاني: أن الصدقة المتطوع بها لا يمتنع صرفها لغير الفقراء كتجهيز
الجيوش ، وقل الشيخ ابن عاشور جدي في تعليق له على حديث
فضل إخفاء الصدقة من " صحيح مسلم": عطف إيتاء الفقراء على
الإخفاء الجھول شرطاً للخيرية في الآية - مع العلم بأن الصدقة
للفقراء - يؤذن الإبقاء على ماء وجه حل الفقير ، وهو القول الفضل
لانتفاء شائبة الرياء ، (١٥).

وهذا الوجه الثاني رده - كذلك - الآلوسي وقال: وليس بشيء لأنه
بعد تسليم أن المبداة زكوة والمخفة تطوع لا نسلم أن مصارف الثانية
لفقراء فقط - ودون إثبات ذلك الموت الأحمر - وكأنه لهذا فسر
بعض الفقراء بالمصارف ، (١٦).

(يتابع)

(١٥) ابن عاشور تفسير الآية .

(١٦) الآلوسي ٤٤ / ٣ .

"محمد الأمين" وذلك لما رأيتم من شلة وفائه وعصمتهم عن الباطل ونراحته عن الكذب، ما علمنتم في طبعه الكريم المحرفاً ولا وجديتم في خلقه الشريف عهله - فكيف يكون الذي تشهدون بأمانته وصدقه طول حياته متهماً بالكذب فيما دعاكم إليه وأرادكم اليوم عليه، وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل، وفي البيت الطلاق.

(٦٨) فاق البدور وفاق الأنبياء فكم

بخلق والخلق من حسن ومن عظم

(٦٩) الخلق : بفتح الخاء وسكون اللام الخلقة ، والخلق بضم الخاء : السجية ، والبيت موصول معناه بما قبله يقول : لا موضع لإنكاركم عليه أن يكون نبياً مرسلاً وقد قال لكم هذه وهو الصادق فيكم المصدق من قديم الزمان عندكم ، وإذا رجعتم إلى مزاياه في نفسه لا تجدون كذلك محلاً لإنكاركم عليه دعوته فإذا كان أمر الرسالة لا يتسوق للناس إلا بحسن الصورة وكمال الخلق فقد كان رسول الله ﷺ أوضح من البدور وأجمل ، وهي أبهى الأشياء وأجملها - وإذا كان ذلك يرجع إلى كرم الخلق وعلو السجايا فقد فاق ﷺ الأنبياء كلهم وهم أكرم الناس خلقاً واسفر لهم شيمة .

أما خلقه وحسن صورته :

فكان ﷺ أزهر اللون (١) ، أدعاج (٢) ، أنجيل (٣) ، أشكـل (٤) ، أهدـب الأسفـار (٥) ، أـبلـج (٦) ، أـزـج (٧) ، أـقـنـى (٨) ، أـفـلـج (٩) ،

(١) أـزـهـرـ اللـوـنـ : أي لـونـهـ أـبـيـضـ مـضـيءـ مـسـتـنـيرـ . (٢) أـدـعـاجـ : شـدـيدـ سـوـاءـ العـيـنـينـ .

(٣) أـنـجـيلـ : وـاسـعـ الـعـيـنـينـ معـ حـسـنـ . (٤) أـشـكـلـ : أي طـوـيلـ شـقـ العـيـنـ . (٥) أـهـدـبـ

الأـسـفـارـ : طـوـيلـ شـعـرـ الجـفـنـينـ . (٦) أـبـلـجـ : أي تـبـاعـدـ ماـ بـيـنـ حاجـبيـهـ . (٧) أـزـجـ : أـزـجـ

الـخـواـجـبـ أيـ مـقـوـسـيـ الـخـواـجـبـ وـهـوـ مـاـ تـفـعـلـهـ بـعـضـ النـسـاءـ تـكـلـفـاـ وـصـنـاعـةـ اـجـتـلـابـاـ

لـلـحـسـنـ . (٨) أـقـنـىـ : أيـ أـقـنـىـ الـعـرـنـينـ : أيـ طـوـيلـ الـأـنـفـ مـعـ دـقـةـ أـرـبـنـتـهـ ، وـالـعـرـنـينـ مـاـ صـلـبـ

مـنـ الـأـنـفـ وـقـلـ الـكـلـدـ . (٩) أـفـلـجـ : مـفـلـجـ الـأـسـنـانـ أيـ مـتـبـاعـدـ ماـ بـيـنـ ثـنـايـاـهـاـ وـرـبـاعـيـاتـهـاـ .

مدور الوجه ، واسع الجبين (١٠) كث اللحية (١١) واسع الصدر ، عظيم المنكبين (١٢) ، ضخم العظام (١٣) عبل (١٤) العضدين والذراعين ، رحب الكفين والقدمين (١٥) سائل الأطراف (١٦) ، أنور المتجرد (١٧) ، ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير (١٨) المتعدد (١٩) ، إذا افتر ضاحكا (٢٠) افتر عن مثل سنا البرق (٢١) ، وعن مثل حب الغمام (٢٢) .

عن أنس بن مالك رض قال : "لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق (٢٣) ولا بالأدم (٢٤) وليس بالجعد القحط (٢٥) ولا بالسبط (٢٦) ، * (٢٧) .

(١٠) واسع الجبين : واسع جانبي الجبهة من مقدم الرأس . (١١) كث اللحية : كثير شعر اللحية من غير طول ولا رقة . (١٢) عظيم المنكبين : المنكب أعلى الكتف وبعدهما عن بعض يدل على عظمتهما وعلى سعة الصدر والظهر . (١٣) ضخم العظام : أي رؤس الأعضاء كالكتف والركبة والمرفق . (١٤) عبل العضدين والذراعين : ضخم العضدين والذراعين . (١٥) رحب الكفين والقدمين : واسع الكفين والقدمين وسعة الكف دليل على الكرم . (١٦) سائل الأطراف : ليست بمنعدلة ولا متعددة . (١٧) أنور المتجرد : نير العضو المتجرد عن الشعر أو عن الثوب . (١٨) ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتعدد ، ربعة : متوسط طول القامة . (١٩) المتعدد : الذي تردد بعض خلقه على بعض فهو مجتمع . (٢٠) إذا افتر ضاحكاً : أي يكشف عند التبسم عن أسنان من غير فهقهة . (٢١) سنا البرق : ضوء البرق . (٢٢) حب الغمام : الغمام السحاب وحب الغمام هو البرد ، وهذا دليل على جمل أسنانه . (٢٣) الأبيض الأمهق : شديد البياض كلون الجص وهو بياض كريه . (٢٤) الأدم : الأسر ، والمعنى : ليس بأسر ولا بأبيض كريه البياض بل أبيض بياضاً نيراً مشرقاً . (٢٥) الجعد القحط : الجعد : ملتوي ومنقبض الشعر ، القحط : شديد الجمعة . (٢٦) السبط : المتسل . * (٢٧) الحديث له بقية في وصفه رض ، رواه البخاري ٤١٢/٦ ، ٤١٣ ، المتن في الأنبياء بباب صفة النبي ﷺ وفي اللباس بباب الجعد ، ومسلم رقم ٢٣٤٧ في الفضائل ، باب في صفة النبي ﷺ وبعثه وسنه ، والموطأ ٩١٩/٢ في صفة النبي ﷺ بباب ماجاء في صفة النبي ﷺ ، والترمذني رقم ٣٦٢٧ في المناقب بباب رقم ٦١ .

وقال البراء رض : "مارأيت من ذي ملة (٢٨) في حلة حراء أحسن من رسول الله ص" * (٢٩).

وقال أبو هريرة رض : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ص كأن الشمس تجري في وجهه" * (٣٠).

وأما خلقه ص :

فقد حباه الله تعالى من كمال الغريزة وسلامة الطبع ووفور العقل ووثاقة الحلم وعلو النفس ولطف الحس بما لم يحب به مخلوقاً قط قبله ولا بعده ، وتولاه من تأديبه وطبعه على كرامات الخلال ومحامد الخلال بما لم يوفق إليه مخلوقاً غيره ، وناهيك بمن يكون ربه مؤدبه ومهدبها قال ص : "أدبني ربِّي فأحسن تأديبي" (*).

وسيرد لك إن شاء الله تعالى تفصيل بعض شمائله ص بحسب ما يشير الشاعر إلى شيء منها وما عسى أن يقول فيه مخلوق بعد ما قال له الخالق **﴿ وإنكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** (القلم الآية/٤).

ولله در القائل :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

أيروم مخلوق تناهك بعد ما

أثنى على أخلاقك الخلاق

وفي البيت اللف والنشر المرتب ، وقال صاحب البردة في هذا

(٢٨) اللمة : أي الشعر الذي ألم بالمنكبين أي قاربهما.

* (٢٩) أبو داؤد رقم /٤١٨٤ ، ٤١٨٥ ، ٤١٨٦ في الترجل ، باب ما جاء في الشعر .

* (٣٠) أخرجه الترمذى ، رقم /٣٦٥٠ في المناقب باب رقم /٢٦ .

(نعتذر للأخ القاريء عن كثرة المقامش التي لا بد منها حتى يكون بحق وضع النهج)

(*) ضعيف (وإن كان معناه صحيحاً) ، أنظر المقاصد الحسنة للسعداوي ٢٩ والفوائد للشوكياني وضعيف الجامع رقم ٢٤٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٧٢ .

المعنى :

فأقَ النَّبِيْنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ

وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي حَلْمٍ وَفِي كَرْمٍ

(٦٩) جَاءَ النَّبِيْوْنَ بِالآيَاتِ فَانْصَرَمْتَ

وَجَئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرَ مُنْصَرِمٍ

(٦٩) انصرمت : انقطعت ، منصرم : منقطع ، الحكيم : القرآن وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه .

المعنى : من الدلائل على أنه ص فاق الأنبياء وفضلهم - كما ذكر في البيت السابق - أن ما جاءوا به من المعجزات والآيات قد مضى على أثرهم وانقطع بانقطاع مدتهم ، وأن ما جاء به نبينا ص من القرآن الكريم والذكر الحكيم باق على طول الأزمان والأدوار تجري عليه العصور وتتغير عليه الأمم وهو قائم الحجة واضح الحجة ، يكلف الناس بالجرى على مقتضى حكمه ويطلبون بالتبعيد بتلاوته في كل زمان وفي كل مكان .

(٧٠) آياته كلما طال المدى جدد

يزينهن جلال العنق والقدم

(٧٠) جدد : جمع جديد كسر وسرير .

آيات الكتاب الحكيم قديمة لأنها كلام الله القديم ولكن قدمها وسبقها على الحوادث لا يحتج بها عن الاتساع لأحكام الواقع والنزول على جزئيات المسائل ، فمما طال الزمان وتجددت الحوادث ظهر لها من كتاب الله تعالى حكم يناسبها ويتفق مع مصالح العباد فيها ، فهي جديدة باعتبار تنزيتها على أحكام الواقع الجديدة أو جديدة باعتبار ظهور حكم لنا فيها جديدة ، بعد أن كانت خافية عن أنظار العباد .

وكيف لا تكون كذلك وقد أنزلها الله حكماً وهى للناس عامة حتى آخر الزمان ، قدر لهم فيها المصالح وجعل لهم في اتباعها العز

والمنعة فمهما تغيرت الحوادث وتقلبت الأمور **﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** (فصلت ، الآية/٣٢) مما يتصل بهذا المعنى قول القاضي عياض رحمة الله :

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأئمة في إعجاز "القرآن" وجوهاً كثيرة منها: أن قارئه لا يمله وسامعه لا يجهه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديله يوجب له محبة ، لا يزال غضا طرياً ، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع التردid ، وبعادي إذا أعيده ، وكتابنا يستلذ في الخلوات ، ويؤنس بتلاوته في الأزمات ، وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحوناً وطروقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ، وهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن بأنه : "لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفني عجائبها" م هـ .

وفي البيت الطلاق ، قوله صاحب البردة في هذا المعنى .

آيات حق من الرحمن محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

قال القسطلاني شارحه : محدثة باعتبار الحروف والأصوات .

(٧١) يكاد في لفظة منه مشفرة

يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم

(٧١) التاء في قوله : لفظة تاء الوحلة ، إذا أراد باللفظة حقيقتها ، فالقول في بلاغة الكتاب وبراعة أسلوبه ودقة نظمها وانسجام لفظه وكمال إيجازه حتى إنه ليتسق للفظة فيه من المعاني ما يتفرق في الجمل الكثيرة من كلام غيره .

وذلك لكمال الارتباط بين كلماته وأخذ كل لفظه من الفاظه الشريفة بمحاجة تليها حتى إذا وقعت لها طائفة من المعاني كانت كأنها واقعة في اللفظة الواحدة لحسن التثام ألفاظه ولطف اتصال بعضها بعض ، وإذا أراد باللفظة الجملة كان القول في احتشاد آي الكتاب

الحكيم بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإكثار من توصية الناس بما فيه صلاح دينهم ودنياهם . المعنى : على هذا أنه يكاد في كل جملة من جمله الشريفة يوصيك بالحق وتقوي الله والبر بذوي الأرحام .

روي أن الوليد بن المغيرة لما سمع من النبي ﷺ : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** (النحل الآية/٩٠) قيل : والله إن له حلاوة وإن عليه الطلاوة وإن أسفله لمغلق وإن أعلى لشمر وما يقول هذا بشر ، (يراجع عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، اختصار وتحقيق العلامة أحمد شاكر ، عند تفسير قوله تعالى : **﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾** (القلم الآية/١١) وما بعدها ، المجلد الثالث ، ط ١/١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م دار الوفاء ، المنصورة ، ج ٤٠٢٠) .

(٧٢) يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
حديثك الشهد عند الذائق الفهم

(٧٢) الناطقون الضاد : العرب لأن الضاد لا تقع إلا في لغتهم ، الشهد : بالفتح والضم للشين مع التشديد : العسل في شعه ، الذائق : صاحب الذوق في فهم الكلام والخبرة بمواضعه ، الفهم : صيغة مبالغة من الفهم .

شبه حديثه ﷺ بالشهد في حلاوته وعدوبته وانبساط النفس له ، أو لفائده وشفائه لأدواء النفوس كما يشفي العسل من أدواء الجسم ، قال تعالى **﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾** (النحل الآية/٦٩) .

وإن لسانك شهدة يستفني بها
وهو على من صبئ الله علقم

وإنا لناقلون إليك بعض ما قاله القاضي عياض صاحب الشفاء في فصاحة لسانه وبراعة منطقه قال : كان ﷺ من ذلك بالخل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجراة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ،

بل كان قوله منثوراً - إلا ما جرى على لسانه الشريف رواية من شعر شاعر - جارياً بحكمة أو آخذا بمعظة أو مقرراً الحكم من أحكام الدين ، ومع هذا فقد كان لحديثه المنثور ما للشعر المنظوم من روعته وخفته على السمع ولطف موضع من النفس وهشاشة القلب له والجذب الطبع إليه .

وفي البيت تشبيه البيان بالمرأة الحسنة تشبيهاً مضمراً في النفس ، وأثبتت لها "الجيد" على سبيل الاستعارة المكنية و "التحلية" ترشيح وفي كل من شطر البيت الطلاق .

(٧٤) بكل قول كريم أنت قائله

تحبى القلوب وتحبى ميت الهم

(٧٤) معنى إحياء قوله القلوب تأثيرها بمواعظه وتنبهها من غفلتها وتدبرها ما ينفعها وما يضرها ، وإحياءه الهمم إيجادها وابتعاثها لعظام الأمور ، وقد وصل همم أصحابه وتابعهم بالجוזاء فدانت لهم المالك وذلت لهم الصعب ويسّر لهم في اليسير من الزمان ما تعذر على الأزمان والأحقاب ، وكريم بمعنى الثمين النافع وهو صفة أولى لازمة لقول وجملة أنت قائله صفة ثانية من الوصف بالجملة ، بعد الوصف بالفرد وهو جائز كعكسه نحو قوله تعالى **﴿وَهَذَا كِتَابٌ أُنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾** (الأنعام الآية ٩٢) .

وإحياء القلوب مجاز عن تأثيرها ، وموت الهمم مجاز عن فقدانها وأقواله المؤثرة في هذا الباب لا يكاد يلخصها العدد ويبلغها الإحصاء وفي الشطر الثاني من البيت طلاق .

(٧٥) سرت بشائر بالهادي ومولده

في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

(٧٥) نسبة السريان للبشائر مجاز عقلي أو في الكلام مكنية بتشبّه البشائر بالساري وإثبات السري لها تخيل ، وقد روى في غير موطن أن البشري بمولده شاعت في الأرض والسماء واتصلت بجميع

أوتى جوامع الكلم ، وخاص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريهما في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه .

وقال بعد كلام طويل : وأما كلامه وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المؤثرة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة قوله :

"المسلمون تتكافؤ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم" قوله "الناس كأسنان المشط" "والمرء مع من أحب" ، "ولا خير في صحبة من يرى لك ما ترى له" ، "والناس معادن" ، "وما هلك امرؤ عرف قدره" ، "والمستشار مؤمن" .

وقال بعد ذلك : وقد قال له أصحابه : ما رأينا الذي هو أفصح منك ، فقال : وما يعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ، وقل مرة أخرى : بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد ، فجمع له بذلك قوة عارضة البدية وجزالتها ونضاعة لفظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري ، وقالت أم معبد في وصفها له : حلو المنطق فصل "لانزر" "ولا هذر"

"كان منطقه خرزات نُظمٌ" .

(٧٣) حليت من عطل جيد البيان به في كل منتشر في حسن منتظم

(٧٣) عطل : يقال عطلت المرأة عطلاً إذا لم يكن عليها حلٍ .

المعنى : إن البيان قد ازدان بحديثه كما تزدان الحسنة بعد العطل بحلوها وزخرفها وتزداد بزيتها ملاحتها وحسنها ، وقد تنزعه عن قول الشعر ، وباطل وساوسه وخپاراته وما يجري في أكثر فنونه مما لا ينبغي للنبي الكريم **﴿مَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾** (يسين الآية ٦٩) ،

الكائنات وسيرد عليك شيء من أثرها في البيتين الآتيين ، وفي الشطر الثاني بين قوله : في الشرق والغرب ، قوله : النور والظلم .

(٧٦) تخطفت مهج الطاغين من عرب

وطيرت أنفس الباغين من عجم

(٧٦) مهج : جمع مهجة وهي دم القلب .

المعنى : إن العلامات التي دلت على مولده ﷺ قد روعت أهل السلطة والظلم من عرب وعجم ، واعتصرت قلوبهم وأطارت نفوسهم فرقاً ، وذلك لما علموا من اقتراب الساعة التي يملكون فيها عن الناس وتغلب فيها أيديهم عن ظلم العباد ويحاسبون على ما أسرفوا ، ويؤخذون بما اقترفوا ، وإن على الباغي تدور الدوائر ، في البيت الطلاق بين عرب ، عجم .

(٧) ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت

من صدمة الحق لا من صدمة القدم

(٧) ريعت : ذعرت وخافت ، شرف : جمع شرفة وهي ما يوصن على أعلى القصور ونحوها - القدم : جمع قدوم .

المعنى : أن شرف الإيوان وهو مثوى سلطان الأكاسرة ومظهر سطوتهم وبأسهم قد ارتجت وهوت ليلة مولده ﷺ ، لم تعمل فيها المعاول ولم تهد منها القدم ، بل تداعت وخرت من صدمة الحق المعموث به للباطل الذي فيه أهلها ، **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمُغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾** (الأنباء الآية/١٨) .

روى البيهقي وأبو نعيم والخراططي وابن عساكر خبر ارتجاج إيوان وسقوط أربع عشرة شرفة منه ، وقل ابن حجر في شرح الهمزية : ومن عجائب ولادته ﷺ انهدام إيوان كسرى أي انشقاقه انشقاقة بينا آل به إلى خرابه "ولولا ما تداعى البناء" مع ما هو عليه من العظم والإحكام الذي يظن به أن لا تهدمه إلا نفحة الصور فإذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرفة للدلالة على نبوته ، وأنه لا عز يبقى

لأحد مع عزه ، وقيل : سر كونها أربع عشرة شرفة أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر فملك عشرة في أربع سنين وأربعة إلى زمن عثمان رض وبذلك انتهى ملوكهم (*).

(٧٨) أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم

* فائدة : يقول صاحب كتاب "محمد رسول الله ﷺ - رسالة ومنهج - بحث وتحقيق" "ليس من رأينا ولا في مذهبنا أن ننكر الإرهادات جوداً مع الجامدين المعالين الذين يريدون أن يخضعوا جلال الألوهية وعظم سلطانها لسلطان عقولهم في حدود ما يعرف من سن الحياة ، هذا غرور بليد لأن ما عرف من سن الحياة تافه قليل إلى جانب ما لم يعرف .

وإذا ثبتت وقوع الأعلم بـ المعجزة والحوادث الكونية الخارقة لـ معروفة العقول في

سن الحياة العامة ، فالنظر فيما يروى منها جملة في سيرة نبينا محمد ﷺ قبل نبوته أو في زمنها يجري على سنن تلك الآيات وقوانيتها ، وبقى على الباحث النظر في إثبات أفراد تلك الحوادث والجزئيات التي سجلتها السيرة النبوية ، فيما ثبت منها بطريق صحيح السندي صائق الرواية وجوب قبوله والإذعان بوقوعه ، لأن رده أو التشكيك فيه بعد ثبوته بهذه الطريقة التي لا طريق للإثبات التاريخي فوقها رد لبرهان العقل القاطع ، ورد النص القرآني في إثبات الآيات المعجزة ، ولا فرق بين آية وآية ، ورد البرهان العقلي والنصل القرآني إلحاد في دين الله أو جهل بـ سنن الحياة أو تشكيك في قدرة الله .

وما لم يثبت هذا الثبوت فتحن في حل من إنكار وقوعه أو التوقف في الحكم عليه إثباتاً أو نفيًا ، والتوقف أسلم وأحكم - كما يقول علماؤنا - لأنه محتمل الثبوت ، وقد قدمت الدلائل في العلم التجاري وفي وسائل البحث التاريخي على أن كثيراً مما ينكر من الحقائق العلمية والحوادث التاريخية أصبح ثابتاً مقرراً في بداعه العقول ، وكثيراً مما كان يزعم أنه حقائق علمية ومقررات تاريخية صار في مهب الأساطير والخرافات ، والتسريع في الإنكار خطأ في الرأي ، والتسريع في التصديق قبل الإثبات غمiza في العقل ، مـ هـ يتصرف .

(محمد رسول الله ﷺ ، منهج رسالة - بحث وتحقيق ، محمد الصالق إبراهيم عرجون ، دار القلم ، دمشق الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ / ١٩٩٥م ، الجزء الأول صفحة ١٠٨، ١٠٥، ١٠٣) .

يعتقدون أن الخلق مسخر لأمرهم وأن الناس ما كانوا إلا ليجري عليهم عسفهم وظلمهم.

وإنما اختص بالذكر دولتى فارس والروم لأنهما كانتا أعرف دول الأرض وأقواها في ذلك الحين ولأنهما كانتا أشد من غيرهما علاقة وأقرب جواراً لجزيرة العرب التي بعث فيها الرسول الأكرم ﷺ .

(٨١) يعبدان عباد الله في شبه ويدجحان كما ضحيت بالغنم

(٨١) فصل في هذا البيت وجوه الظلم الذي كان منتشرأً في ذلك الزمان ، وأن تعذيب الناس كان يجري على الشبه والأوهام وأن أرواح العباد كانت تزهق بالوشيات والسعيات ، وينطلق سيف الظالم بالقتل في الناس ، لأهن الأسباب ، كما تنطلق سكين القصاص للذبح في الغنم يوم التضحية والجبار والمحروم في قوله كما ضحيت صفة لفعل مطلق مذوف أي ذبحاً كتضحيتك الغنم و "ما" مصدرية .

(٨٢) والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم

(٨٢) البهم : جمع بهمة وهي ولد الضأن والمعز ، البلم : صغار السمك .

متى أطلق الناس ولم يكفهم وازع من دين أو سلطان غلت عليهم فطرتهم الحيوانية ، فسطأ كبيرهم بصغرهم وفتاك قويهم بضعفهم كما يفترس الليث ضعاف الحيوان وكما تأكل كبار السمك صغارها .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم
(يتبع)

(٧٨) هام : يهيم هياماً وأهياه شلة الوجد .
المعنى : أنه بعث عليه الصلاة والسلام والناس في جاهليتهم الجهلاء لا يؤخذون بنظام ولا يجررون في أمورهم على حكم معقول ، بل قد فسدت فطرهم وافتنت عقولهم إلى حد العكوف على الأصنام واتخاذها للعبادة واستكفالها الضر والأذى ، ومن كان هذا شأنه في ضعف العقل وجود الفكر وعدم التمييز بين النافع والضار كان هو والحجر الذي يعبده منزلة سواء ، فذلك قوله : "إلا على صنم قد هام في صنم" .

(٧٩) والأرض مملوءة جوراً مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم

(٧٩) التء في طاغية للمبالغة أي شديد الطغيان .
كان الناس في كل أرض كأنهم في دار حرب يستعر لهيبها من القتل والسلب والنهب ، ودع عنك وآد البنات وهتك الحرمات ، وكان كل ملك طاغية في قوله ظلاماً في حكمه ، يأمر ولا راد لأمر ، ويقضي بالجحور ولا دافع لقضاءه ، اللهم إلا أفراداً قلائل ينسحبون في عرض التاريخ سنوا في خطر عدهم في خلال الظلمات المتكائفة خطرة البرق بدا ثم أض McGill .

(٨٠) مسيطراً الفرس يلغى في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصمم عم
(٨٠) بغي يبغي بغيًا والبغي التعدي .

كذلك كانت الحال في دولة الفرس عند مبعثه عليه الصلاة والسلام حيث كانت الفوضى في بيت الملك ، والظلم في الرعية بيد القائم المتسلط عليه ، وكانت الحال في دولة الروم أدهى وأمر ، فقد كانت قياصتهم أهل غطرسة وجبروت قد أبطرتهم النعمة وأعمتهم الاتخال وأصممتهم الكبراء ، فلا يرون لخلق حقاً عليهم بل

وقال سفيان الثوري :

"الإسناد سلاح المؤمن" و قال : "الإسناد زين الحديث فمن اعتنى به فهو السعيد" (٤) ، و قال الإمام الشافعي رحمه الله : "مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل ، يحمل حزمة جطب وفيه أفعى وهو لا يدرى" (٥) ، و قال أبو سعد السمعاني رحمه الله : "الفاظ رسول الله ﷺ لا بد لها من النقل ، ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح ، والصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة ، والعدل عن العدل" (٦) ، وكذلك أقوال كثيرة في أهمية الإسناد لا يسعها هذه المقالة .

ونظراً إلى أهمية الإسناد ، نحب أن ننوه لكم إلى إسناد قد اختلف العلماء في الاحتجاج به ، هو إسناد "عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" (٧) ، فقد ذكر عن يحيى بن سعيد أنه قال : حديث عمرو بن شعيب عندنا واه (٨) و قال غير واحد من الأئمة : هو صالح للاحتجاج به ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه مفصلاً يروي الغليل ويشفي العليل - إن شاء الله تعالى - .
أولاً نسوق الترجم لرواية هذا الإسناد ، لينكشف الحال جلياً ويتبين الأمر اتضاحاً بينا .

١- عبد الله بن (٩) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي ، صاحب صحيفـة "الصادقة" و يكنـى أبا محمد ،

(٤) الإسناد من الدين ص ١٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٠ .

(٦) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص ٥٥ .

(٧) المراد هنا بالجـد جـد شـعـيبـ بنـ مـحـمـدـ لاـ جـدـ عـمـرـ وـ بـنـ شـعـيبـ .

(٨) جـامـعـ التـرـمـذـيـ تـحـتـ رـقـمـ الـحـدـيـثـ /٣٢٢ـ ، بـابـ مـاجـاءـ فـيـ كـرـاهـيـةـ الـبـيـعـ وـ الشـرـاءـ وـ اـنـشـادـ الـضـالـلـ وـ الشـعـرـ فـيـ الـمـسـجـدـ .

(٩) انظر ترجمته في : الثقات لأبن حبان ج ٣ / ص ٣٢٠ و بغـرـحـ وـ التـعـدـيلـ جـ ٥ـ صـ ١١٦ـ ، تـجـرـيدـ أـسـمـاءـ الصـحـابـةـ جـ ١ـ صـ ٣٢٦ـ ، تـهـذـيبـ التـهـذـيبـ جـ ٥ـ صـ ٣٣٧ـ ، سـيرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ جـ ٣ـ صـ ٧٩ـ وـ غـيرـهـ مـاـ مـنـ الـكـتـبـ .

نـقـيـقـةـ إـسـنـادـ عـمـرـ وـ بـنـ شـعـيبـ مـعـ أـيـهـ عـنـ جـدـهـ

بقلم : الأستاذ محمد عمر عثمان الندوبي

(باحث في مركز الإمام أبي الحسن دار عرفات ، رايت بريللي)

الحمد لله الذي خص الأمة الحمدية بشرف الإسناد ، وأعلى مقام الكتاب والسنة المطهرة في كل ناد ، ويسر لمن استهداه سبيل الهدى والرشاد ، وأقام المحدثين حراساً أمناء على حفظ حديث خير العبد ﷺ .

وبعد ، فإن الإسناد من خصائص الإسلام ، وميزة الأمة الحمدية لا شريك لها فيه ، وعليه مدار الدين الذي وعد الله بحفظه سبحانه وتعالى فقال عز من قائل : **«إِنَّا نَحْنُ نَرِئُ لَنَا الدَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»** (١) فهيا لحفظه رجالاً أكفاء ، وحراساً أمناء صادقين ، فحفظوا ووعوا ، وأقاموا الميزان بين الحق والباطل ، ليميز الخبيث من الطيب ، ولا يبقى عليه من الغبار .

قال العلامة عبد الفتاح أبو غلة :

"فالسنـدـ مـعيـارـ وـمـقـيـاسـ" ، مـيزـانـ وـمـسـبـارـ لـلـعـلـمـ الـمـنـقـولـ قـبـولاـ أوـ رـدـاـ ، وـلـاـ يـقـبـلـ عـلـمـ مـرـوـيـ إـلـاـ بـسـنـدـ ، فـهـوـ شـرـطـ مـطـلـوبـ فـيـ كـلـ عـلـمـ لـإـثـبـاتـهـ أـوـ نـفـيـهـ ، وـمـاـ الـقـصـدـ مـنـهـ إـلـاـ تـحـقـقـ الـصـلـقـ فـيـ الـخـبـرـ وـ اـنـتـفـاءـ الـكـذـبـ عـنـهـ" (٢) .

فقد جاء عن ابن المبارك والشافعي وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة الكرام كلمات كثيرة في تبيين مقام الإسناد ، قال عبادان بن عثمان : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : "الإسناد من الدين ، ولو لا الإسناد لقل من شاء ما شاء" .

وقل أيضاً : "بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد" (٣)

(١) سورة الحجر رقم الآية ٩ . (٢) الإسناد من الدين ص ٩٥ .

(٣) مقدمة الصحيح للإمام مسلم تحت الرقم ٣٣ ، ص ٦٧٦ .

الضياء في كتابه "المختارة" نسخة لعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١٦).

٢- محمد (١٧) بن عبد الله بن عمرو القرشي السهمي، جد حكيم بن الحارث الفهمي، وابنه شعيب بن محمد، قيل المزي: قد روى له شيء يسير من الحديث على خلاف فيه (١٨)، وروى أبو داؤد بسنده إلى محمد بن عبد الله عن النبي ﷺ "لا يحل سلف وبيع" (١٩) الحديث، وروى النسائي أيضاً بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه يوم خير عن لحوم الحمر الأهلية (٢٠) الحديث، قيل العجلبي: مدني تابعي ثقة (٢١)، وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢) أيضاً، وأخرج الحديث بسنده في صحيحه (٢٣).

٣- شعيب بن (٢٤) محمد بن عبد الله بن عمرو: قال الذهبي عنه: ما علمت به بأسا (٢٥) وذكره ابن حبان في "الثقات"، قيل: روى

(١٦) سير أعلام النبلاء ج/٥ ص/١٨٣ ترجمة محمد بن عبد الله، ولكن كتاب "المختارة" لم يطبع، ومنه أجزاء في المكتبة الظاهرية بدمشق، قال الحافظ ابن كثير فيه من الكتب علوم: حديثية حسنة، حاشية سير الأعلام ج/٥ ص/١٨٣، ترجمة محمد بن عبد الله بن عمرو.

(١٧) انظر ترجمته في "الثقات" لابن حبان ج/٥ ص/٣٥٣، ميزان الاعتدال الترجمة ٧٤٥، ثقات العجلبي الورقة/٤٧ وغيرها من الكتب.

(١٨) تهذيب الكمال ج/٢٥ ص/٥١٤ الترجمة ٥٣٣.

(١٩) أبو داود رقم/٣٥٠٤. (٢٠) سنن النسائي رقم الحديث/٤٤٥٣ وأبو داود ٣٨١١.

(٢١) ثقات العجلبي الورقة ص/٤٧. (٢٢) ج/٥ ص/٣٥٣.

(٢٣) تهذيب التهذيب ج/٩ ص/٢٣٨.

(٢٤) انظر ترجمته: في تهذيب التهذيب ج/٤ ص/٣١، تاريخ البخاري الكبير ج/٤ ص/٢١٨، الطبقات لابن سعد ج/٥ ص/١٨٠، سير أعلام النبلاء ج/٥ ص/١٨١.

(٢٥) سير أعلام النبلاء ج/٥ ص/١٨١.

وقيل: يكنى أبي عبد الرحمن، وهذا هو المشهور، وأسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً حافظاً عالماً،قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له، قال يا رسول الله! أكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول إلا حقاً.

وقيل أبو هريرة ﷺ: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يعي بقلبه، وأعي بقلبي، وكان يكتب وأنا لا أكتب، استأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فأذن له، وروى شفي الأصبهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: حفظت عن النبي ﷺ ألف مثل (١٠)، واختلف في وفاته: قال أحمد بن حنبل: مات ليالي الحرة (١١) في ولاية يزيد بن معاوية سنة ثلاثة ثلات وستين، وقيل غيره: مات بمكة سنة سبع وستين، وقيل: سنة ثلاثة وسبعين (١٢) وقيل غيره.

وكان عنده صحيفة، قد كتب فيها أحاديث رسول الله ﷺ، ذكر هذه الصحيفة صاحب لسان العرب فقال: وفي الحديث: قال كنا عند عبد الله بن عمرو فسئل أي المدينة تفتح أول: قسطنطينية أو رومية؟ فدعا بصناديق ظهم فأنحر فيهم فنظر فيه وقال: كنا عند النبي ﷺ نكتب ما قال ... الحديث، قال الأزهري: كذا جاء مفسراً في الحديث (١٣)، ويسمى عبد الله بن عمرو هذه الصحيفة "الصادقة"، قال المجاهد: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بياني وبينه أحد (١٤)، وكان عمرو بن شعيب يروي هذه الصحيفة بسنده عن أبيه عن جده، (١٥)، قال الحافظ الذهبي: قد جمع الحافظ

(١٠) عسى أن ليس المراد هنا بضرب الأمثل، بل المراد "الأحاديث".

(١١) وكان يوم الحرة لليلتين بقيتا من شهر ذي الحجة سنة ثلاثة وستين، الاستيعاب في

معرفة الأصحاب ج/٣ ص/٨٨. (١٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج/٣ ص/٨٦-٨٩.

(١٣) لسان العرب ج/٨ ص/٢٨١، مادة ظهم. (١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج/٢ ص/٣٧٣.

(١٥) أخذ عمرو صحيفة كانت عنده فرواها، تهذيب التهذيب ج/٨ ص/٤٤.

عنه ابنه عمرو بن شعيب (٢٦) ، وقل الذهبي : حدث عنه ابنه عمرو وعمر ، وثبت البناني ، وعثمان حكيم ، وعطاء الخراساني (٢٧) .
٤ - عمرو (٢٨) بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقل الإمام الحافظ الذهبي عنه : الإمام المحدث ، فقيه أهل العراق ومحدثهم .

حدث عن أبيه وعن سعيد بن المسيب وطاوس وسليمان ، وعن عطاء وعمرو بن دينار وهما أكبر منه ، والزهري وقتادة ، وعطاء بن أبي رباح ، ومكحول ومطر الوراق ، ووهب بن منبه وأبيوب السختياني وابن طاوس وعاصم الأحول ، وهشام بن عروة ، وابن عون ، وغيرهم من المحدثين الكبار (٢٩) ، روى صدقة بن الفضل عن يحيى القطان إمام الجرح والتعديل قال : إذا روى عن عمرو بن شعيب الثقات ، فهو محتاج به ، وروى عباس ومعاوية بن صالح عن يحيى : "ثقة" ، قال أبو زرعة : وهو ثقة في نفسه ، قال ابن أبي حاتم : سئل أبي أمياً أحب إليك ، هو أو بهز بن حكيم ؟ فقال : عمرو أحب إلي ، - قال أبو عمرو بن العلاء : كان لا يغافل على قتادة وعمرو بن شعيب شيء إلا أنهما كانا لا يسمعان شيئاً إلا حدثا به - قال يحيى بن معين : إذا حدث عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أو سليمان بن يسار أو عروة فهو ثقة عن هؤلاء ، وقل الدوري ومعاوية بن صالح عن ابن معين : ثقة ، قال أبو زرعة : روى عنه الثقات ، قال العجلي والنسيائي : ثقة ، قال أبو جعفر الدارمي : عمرو بن شعيب ثقة ، وقل الدارقطني : وقل النقاش : عمرو بن شعيب ليس من التابعين ، وقد روى عنه

(٢٦) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٢١ .

(٢٧) سير الأعلام للذهبي ج ٥ ص ١٨١ .

(٢٨) أنظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦٣ ، لسان الميزان ج ٧ ص ٣٣٥ ، شذرات الذهب ج ١ ص ١٥٥ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٩-٤٣ ، سير أعلام البلاء ج ٥ ص ١٦٥ .

(٢٩) سير أعلام البلاء ج ٥ ص ١٦٥ ، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٣ .

عشرون من التابعين (٣٠)

فل تحقيق الأمر إلى أن علماء الجرح والتعديل وأمراء المؤمنين في الحديث قد سلموا له ولأبيه ولأبي أبيه الثقة والاعتماد في الحديث .
والآن نقوم بهذه المرحلة الآتية بعده ، وهي إثبات "رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" قد اختلف في الاحتجاج به ، وأصح الأقوال أنها حجة مطلقاً ، وإذا صح السندي إليه ، كما صرحت به المحدثون .

قال ابن الصلاح : وهو قول أكثر أهل الحديث حملًا لجلده عند الإطلاق على الصحابي عبد الله بن عمرو رض ، دون ابنه محمد والد شعيب لما ظهر لهم من إطلاقه ذلك (٣١) ، قوله ابن حبان : "روايات عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، منقطعة ، لأن شعيباً لم يلق عبد الله بن عمرو" (٣٢) مردود ، لأن لقاء شعيب بن محمد ثابت من جده عبد الله بن عمرو رض .
والد ليل عليه ما قال الحكم في "المستدرك" (٣٣) ، وما رواه

(٣٠) سير أعلام البلاء ج ٥ ص ١٦٥-١٨٣ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٣-٤٩ .

(٣١) تحفة الأحوذى ج ٢ ص ٢٤١ . (٣٢) سير أعلام البلاء ج ٥ ص ١٧٥ ، قوله في كتابه "الثقات" هكذا ، يقال : "إن شعيب بن محمد سمع جده ، وليس ذلك عندي ب الصحيح في صحيحه ، أنظر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٣٨ ."

(٣٣) قال الحكم : "وقد أكثرت في هذا الكتاب الجح في تصحيح روايات عمرو بن شعيب إذا كان الراوي عنه ثقة ، وكنت أطلب الجحجة الظاهرة في سمع شعيب بن محمد عن جده عبد الله بن عمرو ، فلم أصل إليها إلا في هذا الوقت : حدثني أبو الحسن علي بن عمر الحافظ ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد الفقيه النيسابوري ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه : أن رجلاً أتى عبد الله بن عمرو يسأله عن خرم وقع بامراته ، فأشار إلى عبد الله بن عمر ، فقال : اذهب إلى ذاك ، فسله ، قال شعيب : فلم يعرفه الرجل ، فذهب معه فسأل ابن عمر ؟ فقال : بطل حجك فرجع (ذلك الرجل) إلى عبد الله بن عمرو وأنا معه ، فقال : اذهب إلى عبد الله بن عباس ، فسله ، قال شعيب : فذهب معه إلى ابن عباس ، فسأله ، فقال له كما قال ابن عمر ، فرجع إلى عبد الله بن عمرو ، وأنا معه ، فلخبره بما قال ابن عباس ، ثم قال : ما تقول أنت ، فقال : قولي ما قل ، وقد أخذه عبد الله بن عمرو ، رواه حفاظ وهو كالأخذ باليد في صحة سمع شعيب بن محمد ، عن جده عبد الله بن عمرو ، المستدرك ج ٢ ص ٦٥ ."

عبد الله بن عمرو بن العاص حديث حسن ، وعمرو بن شعيب هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو (٤٢) ، وقل الحافظ الذهبي بعد نقل أقوال الأئمة فيه : قد أجبنا عن روايته عن أبيه عن جله بأنها ليست بمرسلة ولا منقطعة ، لأنها بعضها وجادة وبعضها سماع ، وقل أيضاً : ولسنا نقول : إن حديثه من أعلى أقسام الحديث بل هو من قبيل الحسن ، وقل : وما علمت أن أحداً من الأئمة تركه (٤٣) ، وقل : احتاج به أرباب السنن الأربع ، وابن خزيمة وابن حبان في بعض الصور ، والحاكم (٤٤) .

والوجادة هي أحد الوجوه من وجوه التحمل ، قل الإمام النواوي في التقريب : الوجادة : "هي مصدر مولد غير مسموع من العرب" (٤٥) .

وقل أيضاً : أما العمل بالوجادة فنقل عن الشافعي ونظر أصحابه جوازه ، وقل أيضاً : وقطع بعض المحققين الشافعيين بوجوب العمل بها عند حصول الثقة به ، وهذا هو الصحيح الذي لا يتجه منه الأزمان غيره (٤٦) ، وقل ابن الصلاح : فإنه لو توقف فيها على الرواية لا نسد باب العمل بالنقل ، لتعذر شرط الرواية فيها (٤٧) ، ونقل العلامة السيوطي في شرحه على "التقريب" قول البلقيني :

(٤٢) سنن الترمذى تحت رقم الحديث / ٣٢٢.

(٤٣) سير أعلام النبلاء ج / ٥ ص / ١٧٥ . (٤٤) المصدر السابق .

(٤٥) تقريب النواوى ص / ٦٠ ووقع صحيح مسلم أحاديث مروية بالوجادة .

(٤٦) تقريب النواوى ج / ٢ ص / ٦٣ . (٤٧) علوم الحديث لابن الصلاح / ١٦١ .

البيهقي في "السنن" (٣٤) : عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : كنت أطوف مع أبي (٣٥) عبد الله بن عمرو بن العاص الخ ، وقل : "وسماع شعيب بن محمد بن عبد الله صحيح من جله عبد الله ، لكن يجب أن يكون الإسناد إلى عمره صحيحًا (٣٦) .

ومن جزم بصحة حديثه أبو عمرو بن عبد البر ، فقال : حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جله مقبول عند أكثر أهل العلم بالنقل ، ثم روى بإسناده عن علي ابن المديني فقال : سمع عمرو بن شعيب من أبيه ، وسمع أبوه من عبد الله بن عمرو (٣٧) ، وكذا قل أبو بكر بن زيد : "صح سماع عمرو من أبيه ، وصح سماع شعيب من جله عبد الله بن عمرو ، كذا في الخلاصة (٣٨) ، وقد نقل الحافظ ابن حجر قول البخاري وأبي داود : أنه سمع من جله (٣٩) .

واحتاج بحديثه كثير من كبار المحدثين ، قل النواوى : إن الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جله هو الصحيح المختار الذي عليه المحققون من أهل الحديث ، وهم أهل هذا الفن ، وعنهم يؤخذ (٤٠) ، وقل الإمام البخاري (٤١) في كتابه "التاريخ الكبير" في ترجمة عمرو بن شعيب : رأيت أحمد بن حنبل ، وعلي بن عبد الله والحميد وإسحاق بن إبراهيم يحتاجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جله (٤١) ، وقل أبو عيسى الترمذى : حديث

(٣٤) سنن البيهقي ج / ٥ ص / ٩٢ . (٣٥) وهذا يشير إلى صحة ما نقل أن والد شعيب تركه صغيراً ، ورباه جده عبد الله بن عمرو ، ولذلك يسميه هنا أباه ، إذ هو أبوه الأعلى ، وهو الذي رباه . (٣٦) السنن للبيهقي ج / ٧ ص / ٣٩٧ . (٣٧) التصحي لحديث المؤطرا ص / ٢٥٤-٢٥٥ . (٣٨) تحفة الأحوذى ج / ٢ ص / ٨٤٢ . (٣٩) تهذيب التهذيب ج / ٤ ص / ٣١ . (٤٠) حاشية سير أعلام النبلاء ج / ٥ ص / ١٦٨ . (٤١) التاريخ الكبير للبخاري ج / ٦ ص / ١٥٧ .

الاستبداد السياسي في كتابات عبد الرحمن الكواكبي

بكلم: الأستاذ عبد الحق صديقي
(باحث في فن اللغة العربية وأدابها بالجامعة المحمدية الإسلامية ببوردو)

عالج عبد الرحمن الكواكبي في الشام مسألة الحكم على ضوء النظرية الإسلامية ومستجدات العصر، فما هي مصادر أفكاره؟ وما الآليات التي اقترحها للإصلاح السياسي؟ وهل نجح في صياغة نظرية متكاملة للإصلاح؟ وما كان موقفه من السلطة الحاكمة؟ هذا ما يحاول البحث الإجابة عليه.

الكواكبي اهتم بالاستبداد الديني ورفض أن تُفهم أحكام الشريعة بذلك، وركز على مبدأ الشورى وأكد على مشاركة أفراد الأمة في القرار والولاية، وحق الأمة في المشاركة والمحاسبة وقد رأى أن الشورى تجمع بين أهل السنة والشيعة في صورة الحكم الإسلامي.
وصولاً إلى مفهوم أوضاع : ماذا قصد الكواكبي بأفكاره وما هو مفهوم الإصلاح عنده؟

إن مفهوم الإصلاح خلال القرن التاسع عشر يمكن أن يكتسب عدة معانٍ: فهو تغيير أو إصلاح ويمكن أن يكون تغيير وإصلاحاً وثورة ومحاكاة، ولكن يبدو أن هناك مستويين في الإصلاح في جميع الأحوال، تتبعاً ولم يتزامناً في تاريخنا الحديث، المستوى الأول هو مستوى تقليد العالم الغربي والمجتمعات الغربية، والثاني جاء بعد هذه المرحلة وهو مستوى إعادة التفكير في هويتنا كمسلمين وكعرب وكمجتمعات (١).

(١) الاحتفاف بوطالب، ص/٤١٨.

احتاج بعضهم للعمل بالوجادة بحديث: "أي الخلق أعزب إيماناً؟ فقالوا: الملائكة، قال: وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: الأنبياء، قال: وكيف لا يؤمنون وهم يأتיהם الوحي، قالوا: نحن، قال: كيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم، قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون من بعديكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها"، قال البلكي: وهذا استنباط حسن (٤٨)، ثبت أن أحاديث عمرو بن شعيب كلها صلاح أو حسن إذا صلح السند إليه، إما لكون بعضها من قبل التحدث وإما بعضها من قبل الوجادة، قال الحافظ ابن حجر بعد نقل قول ابن معين: قلت فإذا شهد له ابن معين أن أحاديثه صلاح غير أنه لم يسمعها، وصح سمعه لبعضها، فغاية الباقي أن يكون وجادة صحيحة وهو أحد وجوه التحمل (٤٩).

وقال أبو عيسى الترمذى: ومن تكلم في حديث عمرو بن شعيب إنما ضعفه لأنه يحدث عن صحيفة جله، لأنهم رأوا أنه لم يسمع هذه الأحاديث من جله، ثم قال: حديث عمرو بن شعيب حديث حسن (٥٠).

وثبت أن قول من ضعفه باطل لا يعبأ به، وال الصحيح ما قاله غير واحد من العلماء أن حديثه محتاج به إذا صلح السند إليه، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٤٨) تدريب الراوى ج ٢ ص ٦٤.

(٤٩) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٨.

(٥٠) جامع الترمذى تحت رقم الحديث ٣٢٢.

المنظومة الإصلاحية عند الكواكبي في بعدها السياسي ، فإننا نجده ينزع الإسلام مما أُلصق به من تهمة الاستبداد ويستشهد بالقرآن على أن الإسلام لا مجال لرميه بالاستبداد إلا أن الحكام هم الذين اتخذوا لأنفسهم صفة الاستبداد وتسروا بالدين "ذلك أن القرآن وضع أصول الحرية وأرسى قواعد الديمقراطية... تسربت إليه مع الزمن الشوائب فأصبح عرضة للتبدل" (٢) .

وهنالكة سؤال: ما الذي يدعو الكواكبي إلى مثل هذا التأكيد على عدم رمي الإسلام بالاستبداد كصفة ملزمة للحكم وليس للعقلية والدين من أي حضارة، إلا إذا كان هناك فهم خاطئ لإشكالية الممارسة والمعايشة الدينية؟! . ومadam الكواكبي مهتماً بمسألة الحرية والديمقراطية (ضد الاستبداد) فهل أعطاها إطاراً فقهياً؟ وما دامت النظرة الأساسية في هذا المجال هي دستور الأمة وتاريخها وسنة رسولها على أساس اختيار الفرد وحريته وانفكاك عبوديته؟!

نجد عند الكواكبي اهتماماً كبيراً بأمر الشورى ، إلى حد أنه يجعلها أساساً من أسس الحكومة الإسلامية "وقد ظهرت الحكومة الإسلامية مؤسسة على أصول حكومة ديمقراطية وشعبية وشوري أستقراطية، أي شوري أهل الحل والعقد في الأمة بعقولهم لا بسيوفهم" (٣) .

لقد أراد الكواكبي من خلال مؤسسة الشورى إرساء قواعد الحرية والعدالة والمساواة من أجل تقدم الإنسان لأنه رأى أن

(٢) نوربير تابيرو، الكواكبي، الفكر الثائر، ترجمة علي سلامة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص/٨.

(٣) الكواكبي ، المصدر نفسه ، ص/٤٥.

للحكومة العادلة آثاراً إيجابية في سيرة الحياة العامة (٤) . عنوان كتاب الكواكبي دالٌ على أنه أراد أن يعالج به واقعاً سياسياً خاصاً وهو الحكم المطلق "فالاستبداد في اصطلاح السياسيين هو تصرف فرد أو جمّع في حقوق قوم بلا خوف الأحق بالوجود، والأقرب إلى تحقيق السعادة "نعم وجد للترقي القريب من الكمال أمثل قليلة في القرون الغابرية كالجمهورية الثانية وكعهد الخلفاء وكبعض الجمهوريات الصغيرة والممالك الموقفة لأحكام التقيد الموجودة في هذا الزمان (٥) ، وقد بلغ الترقى في الاستقلال الشخصي في ظلال الحكومات العادلة لأن يعيش الإنسان الحقيقة التي تشبه في بعض الأوجه ما وعده به الأديان أهل السعادة في الجنة" (٦) . والحكومة المستبدة عند الكواكبي، تكون مستبدة في كل فروعها "من المستبد الأعظم إلى الشرطي الفراش إلى كناس الشوارع" (٧) . لكن هل قصد الكواكبي أن يوجه نقله هذا إلى حكومة الدولة العليّة آنذاك؟!

لقد شرح الكواكبي الاستبداد ومعنى وجود حاكم مستبد، يبدو ذلك من خلال الحكومات القديمة في التاريخ ، فاصداً به أن يتوارى عن المواجهة مع السلطة العثمانية، ولكن كيف يكون ذلك ما دمنا نجد أي ذكر للسلطة القائمة في عصره في كتابه؟!

(٤) محمد جمل الطحان، الوحدة العربية والرابطة الدينية في الحكومات العادلة ، دراسة في فكر الكواكبي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٩٦ ، السنة ١٨ ، حزيران ، يونيو ، ١٩٩٥ ، ص/١٤٣.

(٥) الكواكبي، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٦) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

وفي أوروبا نجد أن الحكومات أحدثت مجالس شورى اتخذت صيغة قانونية "ومن فروع القانون عند أهله بأوروبا" مجلس شورى "من أعيان المملكة وعقلائها، ينتخبه الأهلون ويختلف حل تركيبة وكيفية انتخابه وشروط المنتخب وعدد رجاله بخلاف حالات البلدان وعاداتها" (١٤) وهذا المجلس هو الوكيل عن العامة، ولذلك يكون بانتخابهم ليحمي حقوقهم الإنسانية ويدافع عنها بغير خروج عن الطاعة (١٥).

وفي هذا الخط يتجه الكواكبي، ويدعو إلى سن القوانين، ومراقبة الحكومات، مبيناً أن دعوة الإسلام "من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد مالم تكن تحت المراقبة الشديدة والحساب الذي لا تسامح فيه، كما جرى في صدر الإسلام... وكما جرى في هذه الجمهورية الحاضرة في فرنسا" (١٦) وهو بذلك يطالب بالفصل بين السلطات السياسية والدينية. تعبيراً عن واقع الحكومات الغربية "التي أنشأت المجالس للسيطرة على الإدارة العمومية والسياسية" (١٧).

فالمطلب الأول من أجل الإصلاح، هو تحديد سلطة الحكم تحديداً قانونياً يخدم مصالح الأمة وهي مصالح متعددة ولا يكون هذا التحديد دون استحداث مؤسسات الدولة الرقابية والتي على رأسها مجالس الحكم المنتخبة.

تاريجياً يمكن القبول بما قصده الكواكبي، ويمكن أن يبرر ذلك

يرى Elizer Tauber "أن الكواكبي كان ثورياً بطبيعته وقد سمع مرة وهو يقول: لو كان معني أو تحت إمرتي جيش لاسقطت حكومة عبد الحميد خلال أربع وعشرين ساعة. ولكن ذلك لم يكن، ومع ذلك فكتابه طبائع الاستبداد لا يمكن أن يكون موجهاً مباشرة إلى الحكم العثماني" (٨).

وأياً كان ذلك القول الذي نقله Tauber وأورده محمد عمارة من قبل (٩)، فإن الكواكبي أدرك معنى المشكل الذي مازال يواجه

المثقف في علاقاته مع السلطة حتى اليوم.

إن اطلاع الكواكبي على أنظمة الحكم الغربية وطرقها جعله يفضل الحكم المقيد بجملة من القوانين ويخضع لمراقبة المؤسسات الديقراطية وهو الشيء الذي أشاد به عند النظم الأوروبية (١٠).

هكذا اتفق الكواكبي على رفض الحكم المستبد والمطلق القائم على الهوى الفريدي، وبين محسن الحكم المقيد بقانون والمبني أساساً على الشورى "ولا تعين المصلحة الكاملة إلا بالمشورة" (١١)، قال تعالى لرسوله المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى (لو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك) (١٢)، ثم نجله يستشهد بما أورده الحسن البصري: كان صلى الله عليه وسلم مستعيناً على مشورتهم ولكنه أراد أن تصير سنة الحكم (١٣).

(٨) Elizer Tauber, *The Emergence of The Arab Movements*, London, 1993, p26.

(٩) عمارة، المصدر السابق، ص/ ١٦١.

(١٠) القاضي، المصدر السابق ، ٧٤.

(١١) الإتحاف، ج/ ١ ، ص/ ٥٣.

(١٢) سورة آل عمران ، الآية/ ١٥٩.

(١٣) الإتحاف، ج/ ١ ، ص/ ٥٣.

(١٤) المصدر نفسه، ج/ ١ ، ص/ ٥٣ - ٨٤ .

(١٥) المصدر نفسه، ج/ ١ ، ص/ ٨٣ .

(١٦) الكواكبي ، المصدر السابق/ ٤٣٨ .

(١٧) نوربير تابيرو ، المصدر السابق ، ص/ ٣٥ .

ما زالت واقعة إلى الآن لحد كبير جداً، ليصل الأمر أن هناك من يرى "أن ما تبقى لنا من الكواكبي لكي ندرسه شيء كبير، يساوي بقدر حجم الإشكالية الخورية التي تواجه حركة التحرر الوطني العربي". (٢٠).

فالظروف التي عاشها الكواكبي وكذلك التجربة التي مارسها ذلك بقبول السلطة القائمة أو رفضها أو ضيقها بهذا النطاق يقول عبد العزيز الدوري : يذهب الكواكبي إلى نقد الإدارة العثمانية ويبين أسباب الخلل بغض النظر عن العاصمة ، وجهل المسؤولين الإداريين بآدواتها وتبرير الموضوع بسوء توحيد قوانين الإدارة وهذا نراه يتوجه بدعوته للنهضة للغرب ويحدد وجهة نظر غربية واضحة (٢١).

والسؤال الآن: ما هو مضمون الإصلاح السياسي في فكره ؟ وهل يمكن القول أنه تقدما إلى الإصلاح على قاعدة أن التنظيمات هي أساس العمran القائم على العدل والشريعة الإسلامية ؟!

وأيًّا كانت المضامين والأفكار، فإن محاكاة النموذج الأوروبي كانت مائلة في طرحه للإصلاح السياسي، لكن يبدو أنه لم يكن هناك استيعاب لمسار التجربة الليبرالية في إطارها التاريخي ، وأنهم لم يفرقوا بين الجذور الثابتة والأصول المقررة ، وبين الصورة الظرفية التي تلبست الفكر الإصلاحي العربي في القرن التاسع عشر. وهو ما يراه عبد الله العروي (٢٢).

(٢٠) عبد الله حنا، النهضة والاستبداد، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٤، ص/٧٠.

(٢١) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، السباعي، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٧؛ حول مكانة الكواكبي في الفكر القومي العربي، انظر الدراسة الرصينة لإبراهيم بيضون. مرأة قومية في فكر عبد الرحمن

الкваكبي، حوليات كلية الآداب العربية، معهد الدراسات الشرقية، جامعة القدس، يوسف، المجلد/٦، ١٩٩١ - ١٩٩٢، ص/٦٩.

(٢٢) عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ١٩٨٨، ص/٤٨.

بالطبع الذي مرت به الحركة الإصلاحية في عموم البلاد العربية في تلك الفترة ولكن هل استطاع أن يضع روئيته الإصلاحية ضمن إطار فلسفياً؟! وهل حاول الانتقال من حيز المطالبة إلى حيز حكم الضرورة في التنفيذ، وبالتالي تأكيد السلطة الثقافية الإسلامية على السلطان السياسي، على أساس الرقابة التي أدعى بها فقهاء السنة على السلطان؟! وهل إن اطلاعهم على الفكر الليبرالي الغربي وما وصل إليه من نتائج، ساعدهم في حصر الإشكالية الإصلاحية، في مجالها الاجتماعي والسياسي العربي الإسلامي؟!

البحث عن مضامين : لقد شاع إطلاق لفظ الإصلاح على اتجاهات وحركات إصلاحية واجتماعية ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر فيما عدا الحركة الوهابية التي بدأت قبل هذا التاريخ. وامتدت هذه الاتجاهات حتى النصف الأول من القرن العشرين ولقد اختلفت هذه الدعوات بالخلاف دوافعها وحجم التأثيرات التي أحدثتها (١٨).

وصف زي. ليفين ، الكواكبي " بأنه مفكر سياسي ، مُفعِّم بكراهية الاستبداد" (١٩)، ولكن حكم ما تركه من إشكاليات

(١٨) أحمد عبد السلام ، ملاحظات في معنى الإصلاح عند خير الدين وابن أبي الضياف في تونس ، في القرن التاسع عشر ، الإصلاح ، المجتمع المغربي (مصدر سابق)، ص/١٤١.

(١٩) زي. ليفين ، تاريخ الفكر الاجتماعي الحديث، لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٧؛ حول مكانة الكواكبي في الفكر القومي العربي، انظر الدراسة الرصينة لإبراهيم بيضون. مرأة قومية في فكر عبد الرحمن الكواكبي، حوليات كلية الآداب العربية، معهد الدراسات الشرقية، جامعة القدس، يوسف، المجلد/٦، ١٩٩١ - ١٩٩٢، ص/٦٩.

مصطلح "السياسة الاستبدادية" ويسعى كثيراً لتلخيص موقف الأفراد من السلطة كما يجب أن يكون، وسلم على ضرورة وجود ضمانات لحماية المجتمع من الحكم المستبد، وأكد على وجود "شروط للمراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها" (٢٨).

أكد على ضرورة أن لا يشعر المستبد باستبداده، لأن عاقب ذلك تكون وخيمة، وهذا طالب بأخذ الحيطة والحذر من ذلك "والحذر كل الحذر أن يشعر المستبد بالخطر فيأخذ بالحذر الشديد والتنكيل بالمجاهدين" (٢٩)، ولكن ما ملئ مسؤولية الدين عن الاستبداد السياسي هل يمكن تطويق الدين وتسويقه كأداة ضد الاستبداد؟ نقرأ عند الكواكبي "إن مصدر الاستبداد السياسي الاستبداد الديني" (٣٠)، وهذا نجده يبين أحکام الدولة العادلة بغض النظر عن الدين (٣١).

المضمون الأساسي الذي ركز عليه: رفض الاستبداد بشتى أنواعه، والتأكيد على وجود القانون، أيًّا كانت صوره، سواء بصيغة دستور أو هيئة عليا تضم أعيان الأمة أو بشكل مجالس انتخابية، أو بصورة مؤسسات ديمقراطية بختلف أنواعها. وفي جميع الصور وال الحالات هذه إذكاء لمعنى الشورى في الإسلام وتأكيد على سلامتها في توجيه الحكومات والقيادات.

إلا أنَّ هذا لم يأت من خلال التجربة الإسلامية فحسب، فالمنظومة الفكرية عنده متأثرة بشكل كبير بالمراحل الأخيرة التي بلغتها الدول الأوروبية، وخاصة فرنسا. من المفيد أن نذكر أن نتاج الثقافة

(٢٨) الكواكبي، المصدر السابق، ص/٥٣.

(٢٩) المصدر نفسه، ص/٥٣.

(٣٠) Tauber, op. Cit. 26.

إذا كان العدل أساس العمران عند الكواكبي ومتمثلًا بالعلم وترقي العلم والعمaran هو من سنة الكون التي أرادها الله تعالى لهنَ الأرض، ومع ذلك فالعلم والاستبداد ضدان متغالبان، فكل إرادة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم" (٢٣).

ولما كان الكواكبي ناقداً للاستبداد بكل صوره، وأنه لا يأتي إلا بمزيد من الانحطاط والتربي "لأن ظهوره على صاحبه مجيبة لأنواع البلاء" (٢٤) فإنه يرى بالحكم التركي آنذاك حكمًا استبداديًّا، فعمل على تصوير أمم الغرب التي تعيش في ظل حكومات عادلة "فقد بلغت أعلى المراتب وإن الأمم التي أسعفها حظها لتبديد الاستبداد نالت من الشرف المعنوي ما لم يخطر على فكر" (٢٥).

وأول ما يجني الناس من الإصلاح السياسي والتغيير، عند صاحب الإنفاق والطبائع "الأمن على النفس والمال والعرض وحتى لا تكون النفوس الإنسانية والأجساد المكرمة فريسة" (٢٦) واستباب الأمن وتوفيره ضروري للعيش والكماليات تولد حب الوطن" (٢٧).

حاول الكواكبي بصورة تكاد تكون أكثر منها، وهي وضع مسألة الإصلاح السياسي في مضمونها العثماني الإسلامي وهذا نجده حاول الكشف عن فلسفة الإسلام في شأن السياسة. في حين ركز على

(٢٣) الكواكبي، المصدر نفسه، ص/٤٦١.

(٢٤) المصدر نفسه، ص/٤٨١.

(٢٥) المصدر نفسه، ص/٥٢٣.

(٢٦) الإنفاق، ج/١، ص/٥١.

(٢٧) سهيلة الريماوي، عبد الرحمن الكواكبي، دراسة في فكره السياسي، مجلة دراسات تاريخية، السنة ٧، العددان/ ٢٣ - ٢٤، أيلول، كانون أول ١٩٨٩، ص/٣٣.

الفقه الإسلامي :

زكاة الحيوان

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

جاءت الأحاديث الصحيحة ، مصريحة بإيجاب الزكاة في الإبل

والبقر والغنم ، وأجمعت الأمة على العمل بها ، ويشترط لإيجاب الزكوة فيها : أن تبلغ نصابا ، وأن يحول عليها الحول ، وأن تكون سائمة أي راعية من الكلا المباح أكثر العام ، والجمهور على اعتبار هذا الشرط ، ولم يخالف فيه غير مالك والليث ؛ فإنهما أوجبا الزكوة في المواشي مطلقا سواء أكانت سائمة أو ملعونة ، عاملة أو غير عاملة ، لكن الأحاديث جاءت مصريحة بالتقيد بالسائمة ، وهو يفيد بمفهومه أن الملعونة لا زكوة فيها ، قل ابن عبد البر : لا أعلم أحدا قال بقول مالك والليث من فقهاء الأمصار .

زكاة الإبل : لا شيء في الإبل حتى تبلغ خمسا ، فإذا بلغت خمسا ، سائمة ، وحال عليها الحول ، ففيها شاة "أي جذع من الضأن وهو ما أتى عليه أكثر السنة ، أو ثني من المعز وهو ماله سنة" فإذا بلغت عشرة ، ففيها شاتان ، وهكذا كلما زادت خمسا زادت شاة ، فإذا بلغت خمسا وعشرين ، ففيها بنت مخاض "وهي التي لها سنة ودخلت في الثانية" أو ابن لبون "وهو الذي له ستة ودخل في الثالثة" ولا يؤخذ الذكور في الزكوة إذا كان في النصاب إناث غير ابن اللبون عند عدم وجود بنت المخاض ، فإذا كانت الإبل كلها ذكورا جازأخذ الذكور ، فإذا بلغت ستة وثلاثين ففيها ابنة لبون ، وفي ست وأربعين حقة "وهي التي لها ثلاثة سنين ودخلت في الرابعة" ، وفي إحدى وتسعين حققان ، إلى مائة وعشرين ، فإذا زادت ففي كل أربعين ابنة لبون ، وفي كل خمسين حقة ، فإذا تبانت أسنان الإبل في فرائض الصدقات ، فمن بلغت عنده صدقة الجذعة وليس عنده جذعة ،

الأوروبية في ذلك العصر كان نتيجة لمرحلة طويلة من التكوين والاكتمال والاستقلال ، وهو خلاف ما كان رجالات الإصلاح يعيشونه داخل نظامهم الثقافي العربي الإسلامي في تلك المرحلة ومع ذلك ، كما يرى فهمي جدعان فإنه شارك الأوروبيين أفكارهم وأحكامهم بل إنه تجاوز الأمر عندما كان أكثر عنفاً في النقد والمطالبة في الإصلاح .^(٣١)

فهل كان الكواكبي يحاكي التقنيات الأوروبية عصرئذ ، وبالتالي عدم إحراز أي تقدم بأي مظهر من مظاهر الإصلاح ؟ وهل استطاع فهم الإصلاح بأبعاده العميقه في الحضارة العربية الإسلامية ؟ .
يبدو أن هذين المستويين كانا متداخلين في تفكيره الذي جاء اتباعياً وإلحاقياً ، اتباعياً بالنسبة للنموذج الإسلامي وإلحاقياً بالنسبة للنموذج الغربي ، فالكواكبي كان الأقرب إلى صورة المثقف المنتفض الذي وجد نفسه في القرن التاسع عشر أمام مطالبات متعددة ومختلفة متعلقة بمسألة الهوية والوعي .

في ظل هذا المشكل الإصلاحي هل من الممكن القول : الكواكبي أحد أهم أعلام الفكر العقائدي والقومي والسياسي الدستوري في القرن التاسع عشر . ويظل في حيزه الإصلاحي العربي الإسلامي المستنير . وقد ساهم في بلورة الأفكار الإصلاحية التي ماتزال إلى يومنا هذا تحتاج إلى البحث عن إجابة وتجديد للطاقات .

(٣١) فهمي جدعان ، نظرية التراث ، دراسات إسلامية أخرى ، دار الشروق ، عمان ، ط ١٩٨٥ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

وعنده حقة ، فإنها تقبل منه ، ويجعل معها شاتين إن استيسر تاله ، أو عشرين درهماً ، ومن بلغت عنده صدقة الحقة ، ولن يست عنده إلا جذعة ، فإنها تقبل منه ويعطيه المصدق عشرين درهماً ، أو شاتين ، ومن بلغت عنده صدقة الحقة ، ولن يست عنده ، وعنده ابنة لبون ، فإنها تقبل منه ويجعل معها شاتين ، إن استيسر تاله ، أو عشرين درهماً ، ومن بلغت عنده صدقة ابنة لبون ، ولن يست عنده إلا حقة فإنها تقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين ، ومن بلغت عنده صدقة ابنة مخاض ، فإنها تقبل منه ، صدقة ابنة لبون ، ولن يست عنده ابنة لبون وعنده ابنة مخاض ، فإنها تقبل منه ، ويجعل معها شاتين ، إن استيسر تاله أو عشرين درهماً ، ومن بلغت عنده صدقة ابنة مخاض ، ولن يست عنده إلا ابن لبون ذكر ، فإنه يقبل منه ، وليس معه شيء ، ومن لم تكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها شيء ، إلا أن يشاء ربها .

هذه فريضة صدقة الإبل ، التي عمل بها الصديق رضي الله عنه ، بحضور من الصحابة ، ولم يخالفه أحد ، فعن الزهري عن سالم عن أبيه قال : كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كتب الصدقة ، ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي فأخرجها أبو بكر رضي الله عنه فعمل بها حتى توفي ، ثم أخرجها عمر رضي الله عنه من بعده فعمل بها ، قال : فلقد هلك عمر يوم هلك ، إن ذلك لمقرن بوصيته .

زكاة البقر ويشمل الجاموس "أما البقر فلا شيء فيها ، حتى تبلغ ثلاثين سائمة ، فإذا بلغت ثلاثين سائمة وحل عليها الحول ، وفيها تبع أو تبيعة" وهو ما له سنة "ولا شيء فيها غير ذلك حتى تبلغ أربعين ، فإذا بلغت أربعين فيها مسنة" وهي ما لها سنتان "مذهب الأحناف أنه يجوز إخراج المسنة والمسن ، وقال غيرهم : يلزم في الأربعين مسنة أنثى فقط إلا إذا كانت كلها ذكورا فإنه يجوز الإخراج منها اتفاقا ، ولا شيء فيها حتى تبلغ ستين ، فإذا بلغت ستين ، وفيها تبيعان ، وفي السبعين ، مسنة وتبيع ، وفي الثمانين ، مسنتان ، وفي التسعين ، ثلاثة أتباع ، وفي المائة ، مسنة وتبيع ، وفي العشرة والمائة ،

مسنتان وتبيع ، وفي العشرين والمائة ، ثلاث مسنتان أو أربعة أتباع ، وهكذا ما زاد في كل ثلاثين ، تبيع ، وفي كل أربعين مسنة .

زكاة الغنم : ويشمل الضأن والمعز ، وهما جنس واحد ، يضم أحدهما إلى الآخر بالإجماع ، كما قال ابن المنذر ، ولا زكاة في الغنم حتى تبلغ أربعين فإذا بلغت أربعين سائمة وحل عليها الحول ، ففيها شاة ، إلى مائة وعشرين ، فإذا بلغت مائة وأحدى وعشرين ففيها شاتان ، إلى مائتين ، فإذا بلغت مائتين وواحدة ، ففيها ثلاث شيات ، إلى ثلاثة ، فإذا زادت على ثلاثة ، ففي كل مائة شاة ، ويؤخذ الجذع من الضأن ، والثانية من المعز ، هذا ويجوز إخراج الذكور في الزكوة اتفاقا ، إذا كان نصاب الغنم كله ذكورا ، فإن كان إناثا ، أو ذكورا وإناثا ، جاز إخراج الذكور عند الأحناف وتعينت الأنثى عند غيرهم .

حكم الأوقاص : الأوقاص ، جمع وقص ، وهي ما بين الفريضتين ، وهو باتفاق العلماء عفو لا زكاة فيه ، فقد ثبت من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدقة الإبل (إذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض أنثى ، فإذا بلغت ستة وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى) وفي صدقة البقر ، يقول : (إذا بلغت ثلاثين ففيها عجل تابع ، جذع أو جذعة حتى تبلغ أربعين ، فإذا بلغت أربعين ففيها بقرة مسنة) وفي صدقة الغنم (وفي سائمة الغنم إذا كانت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومائة) فما بين الخمس والعشرين ، وبين الست والثلاثين من الإبل وقص ، لا شيء فيها ، وما بين الثلاثين ، وبين الأربعين من البقر وقص كذلك ، وهكذا في الغنم .

مala يؤخذ في الزكوة : يجب مراعاة حق أرباب الأموال عندأخذ الزكوة من أموالهم ، فلا يؤخذ من كرائمها وخيارها ، إلا إذا سمحت أنفسهم بذلك ، كما يجب مراعاة حق الفقير ، فلا يجوز أخذ الحيوان المعيّب ، عيباً يعتبر نقصاً عند ذي الخبرة بالحيوان ، إلا إذا كانت كلها معيبة وإنما تخرج الزكوة من وسط المال ، ففي كتاب أبي بكر : ولا تؤخذ في الصدقة هرمة "أي التي سقطت أسنانها" ولا ذات عوار

"أي العوراء" ولا تيس ، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي أن عمر رضي الله عنه نهى المصلق أن يأخذ الأكولة "أي العاقر من الشاة" ، والرببي "أي الشاة تربى في البيت للبنها" والملحض "أي التي حان ولادها" وفحل الغنم "أي التيس المعد للترو" ، وعن عبد الله بن معاوية الغاضري أن النبي ﷺ قال : (ثلاث من فعلهن فقد طعم ، طعم الإيمان : من عبد الله وحده ، وأن لا إله إلا هو ، وأعطى زكاة ماله ، طيبة بها نفسه ، رافلة عليه "أي معينة له على أداء الزكوة" كل عام ، ولا يعطي الهرمة ، ولا الدرنة "أي الجرباء" ولا المريضة ، ولا الشرط "أي صغار المال وشراره" ، ولا اللئيمة "أي البخيلة باللبن" ، ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره) رواه أبو داود والطبراني بسند جيد .

زكاة غير الأنعام : لا زكاة في شيء من الحيوانات غير الأنعام ، فلا زكاة في الخيل والبغال والحمير ، إلا إذا كانت للتجارة ، فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (قد عفت لكم عن الخيل والرقيق ولا صدقة فيهما) رواه أحمد وأبو داود بسند جيد ، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سُئل عن الحمر ، فيها زكاة ؟ فقال : (ما جاء فيها شيء إلا هذه الآية الفذة) **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** رواه أحمد ، وعن حارثة بن مضرب أنه حج مع عمر فأتاه أشرف الشام ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إننا أصبنا رقيقاً ودوايب ، فخذ من أموالنا صدقة تطهرون بها ، وتكون لنا زكاة فقال : هذا شيء لم يفعله اللذان قبلني "يقصد النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر رضي الله عنه" ولكن انتظروا حتى أسل المسلمين ، أورده الهيثمي ، وقل : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات ، وروى الزهري عن سلمان بن يسار : أن أهل الشام قالوا لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : خذ من خيلنا ورقيقنا صدقة ، فأبى ، ثم كتب إلى عمر فأبى ، فكلموه أيضاً ، فكتب إليه عمر : إن أحبوا فخذها منهم ، وارددوها عليهم "أي على الفقراء منهم" وارزق رقيقهم ، رواه مالك والبيهقي .

زكاة الفضلان والعجل والحملان جمع فضيل وعجل وحمل " وهي الصغار التي لم يتم لها سنة" : من ملك نصاباً من الإبل أو البقر أو الغنم فتحت في أثناء الحول ، وجبت زكاة الجميع ، عند تمام حول الكبار ، وأخرج عن الأصل وعن النتاج ، زكاة المال الواحد ، في قول أكثر أهل العلم ، لما رواه مالك والشافعي عن سفيان بن عبد الله الثقفي أن عمر بن الخطاب قال : تعدد عليهم السخالة "اسم يقع على الذكر والأخرى من أولاد الغنم ساعة ما تضعه الشاة ضائناً كانت أو معزاً" يحملها الراعي ، ولا تأخذها ، ولا تأخذ الأكولة ، ولا الرببي ، ولا الملخص ، ولا فحل الغنم ، وتأخذ الجذعة والثانية ، وذلك عدل بين غذاء المال وخياره ، ويرى أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور أنه لا يحسب النتاج ولا يعتد به ، إلا أن تكون الكبار نصاباً ، وقل أبو حنيفة أيضاً : تضم الصغار إلى النصاب ، سواء كانت متولدة منه ، أم اشتراها ، وتذكر بحوله ، وشرط الشافعي أن تكون متولدة من نصاب ، في ملكه قبل الحول ، أما من ملك نصاباً من الصغار فلا زكاة عليه ، عند أبي حنيفة ومحمد وداود والشعبي ورواية عن أحمد ، لما رواه أحمد وأبو داود والنسيائي والدارقطني والبيهقي عن سعيد بن غفلة قال : أتانا مصدق رسول الله ﷺ ، فسمعته يقول : إن في عهدي أن لا تأخذ من راضع لبن ، الحديث وفي إسناده هلال بن حبان ، وقد وثقه غير واحد ، وتكلم فيه بعضهم ، وعند مالك ورواية عند أحمد تجنب الزكوة في الصغار كالكبار ، لأنها تعدد مع غيرها ، فتعد منفردة ، وعند الشافعي وأبي يوسف يجب في الصغار واحدة صغيرة منها .

ما جاء في الجمع والتفريق : عن سعيد بن غفلة قال : أتانا مصدق رسول الله ﷺ فسمعته يقول : إن لا تأخذ من راضع لبن ، ولا نفرق بين مجتمع ، ولا نجمع بين متفرق ، وأتاه رجل بناقة كوماء "أي عظيمة السنام" ، أبي أن يأخذها ، لأنها من خيار الماشية" فأبى أن يأخذها ، رواه أحد وأبو داود والنسيائي ، وحدث أنس أن أبا بكر كتب إليه : هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين ، وفيه :

ولا يجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وما كان من خليطين ، فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية " قال الخطابي : معناه أن يكون بينهما أربعون شاة مثلا ، لكل واحد منهما عشرون ، قد عرف كل منهما عين ماله ، فيأخذ المصدق من أحد هما فيرجع المأخذ من ماله على شريكه بقيمة نصف شاة " ، رواه البخاري ، قال مالك في الموطأ : معنى هذا أن يكون النفر الثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة ، وجبت فيها الزكاة ، فيجمعونها حتى لا يجبر عليهم كلهم فيها إلا شاة واحدة ، أو يكون للخليطين مائتا شاة وشاة ، فيكون عليهم فيما فيها ثلاث شياه ، فيفرقونها ، حتى لا يكون على كل واحد منها إلا شاة واحدة ، وقل الشافعي : هو خطاب لرب المال من جهة ، وللساعي من جهة ، فأمر كل منهما أن لا يحدث شيئا ، من الجمع والتفريق خشية الصدقة ، فرب المال يخشى أن تكثر الصدقة ، فيجمع ، أو يفرق لتقل ، والساعي يخشى أن تقل الصدقة ، فيجمع أو يفرق لتكثر ، فمعنى قوله : خشية الصدقة ، أي خشية أن تكثر ، أو تقل ، فلما كان محتملا للأمررين ، لم يكن الحمل على أحد هما أولى من الآخر ، فحمل عليهما معا ، وعند الأحناف أن هذا نهي للسعة أن يفرقوا ملك الرجل الواحد ، تفريقا يوجب عليه كثرة الصدقة ، مثل رجل له عشرون ومائة شاة فتقسم عليه إلى أربعين ، ثلاث مرات ، لتجب فيها ثلاث شياه ، أو يجمعوا ملك رجل واحد إلى ملك رجل آخر حيث يوجب الجمع كثرة الصدقة ، مثل أن يكون لواحد مائة شاة وشاة ، ولآخر مثلها ، فيجمعها الساعي ليأخذ ثلاث شياه ، بعد أن كان الواجب شاتين .

هل للخلطة تأثير ؟ : ذهب الأحناف إلى أنه لا تأثير للخلطة ، سواء كانت خلطة شيوع " وهي ما كان المال مشتركا ومشاعا بين الشركاء " ، أو خلطة جوار " وهي ما كانت ماشية كل من الخلطاء متميزة ، ولكنها متظاهرة مختلطة في المراح والمسرح " ، فلا تجبر الزكاة في مل مشترك إلا إذا كان نصيب كل واحد يبلغ نصابا على انفراد ، فإن الأصل الثابت المجمع عليه ، أن الزكاة لا تعتبر إلا بملك الشخص

الواحد ، وقالت المالكية : خلطاء الماشية كمالك واحد في الزكوة وأثر للخلطة ، إلا إذا كان كل من الخليطين يملك نصابا ، بشرط أن يكون each منهما ملوكا متساويا عن الآخر ، وإلا كانوا شريكين ، وأن يكون كل منهما ملوكا للزكوة ، ولا تؤثر الخلطة إلا في الماشي ، وما يؤخذ من المال يوزع على الشركاء بنسبة ما لكل ، ولو كان لأحد الشركاء مل غير مخلوط اعتراه مخلوطا ، وعند الشافعية أن كل واحدة من الخليطين تؤثر في الزكوة ويصير مل الشخصين أو الأشخاص كمل واحد ، ثم قد يكون أثرا في وجوب الزكوة ، وقد يكون في تكثيرها ، وقد يكون في تقليلها ، مثلاً أثرا في الإيجاب : رجالان لكل واحد عشرون شاة ، يجب بالخلطة شاة ولو انفردا لم يجب شيء ، ومثال التكثير : خلط مائة شاة وشاة بمثلهما يجب على كل واحد شاة ونصف ، ولو انفرد ، يجب على كل واحد شاة فقط ، ومثال التقليل ، ثلاثة ، لكل واحد أربعون شاة خلطوه يجب عليهم جميعا شاة ، أي أنه يجب ثلث شاة على الواحد ، ولو انفرد لزمته شاة كاملة ، واشترطوا لذلك : أن يكون الشركاء من أهل الزكوة وأن يكون المال المختلط نصابا ، وأن يضي عليه حول كامل ، وأن يتميز واحد من المال عن الآخر في المراح " أي مأواها ليلا " ، والمسارع " أي المرتع الذي ترعى فيه " ، والشرب ، والرعي ، والخلب " الموضع الذي تحلب فيه " ، وأن يتحدد الفحل إذا كانت الماشية من ناحد ، وبمثل ما قالت الشافعية ، ذهب أحمد ، إلا أنه قصر تأثير الخلطة على الماشي ، دون غيرها من الأموال (١) .

(١) فقه السنة السيد سابق ج/١ من ص/٣٦٣ إلى ص/٣٧٣.

الاستعمارية ، وفي بعض البلدان دخلت الجمعيات التنصيرية قبل الاستعمار الحقيقي ، وهيئات الجو لاستقبال المستعمر ، ولمواجهة هذه الحركة قام المسلمون بتربيه علماء ودعاة لمناقشة المتصرين ، وألفووا كتبًا في دراسة النصرانية ، وقد لعبت الهند في ذلك دوراً قيادياً ، وبفضل هذه الجهدود تقلص انتشار النصرانية ، وتركز في المناطق المنقطعة عن المدن ، وانتشرت النصرانية في القبائل الساكنة في مناطق الحدود ، أو المناطق الجبلية ، التي يصعب الوصول إليها.

كان كتاب "إظهار الحق" للعلامة رحمة الله الكيراني أفضل كتاب في فضح دعاوى القسيسين والرهبان ، وفي إلقاء الضوء على حقيقة النصرانية المعاصرة ، وإيضاح التناقضات في نسخ الإنجيل ، وكان القسيسون يحترزون عن مواجهته.

وقد أفادت التقارير الأخيرة بأن الجمعيات التنصيرية جعلت العراق معسكراً جديداً وهو بمثابة جسد جريح ، بعد الغزو الأمريكي ، وقد قتل فيهآلاف من العلماء ورجل التربية ، والقيادة ، أو شردوا من البلاد ، ويبحثون عن اللجوء السياسي ، ولا يوجد جو الأمان ، ولا يطمئن أحد على حياته ، فاستغلت الجمعيات التنصيرية هذه الأوضاع المتدهورة لنشر الديانة النصرانية ، عن طريق الإغاثة ، والإسعاف ، والتعليم ، وهي وسائل التنصير المعروفة ، واستغلت الحركات الصهيونية أيضاً غياب الأمن ، فاستولت على بعض الأماكن لممارسة نشاطاتها وإسكان عملائها ، وأفادت بأن عدداً كبيراً ، من المؤسسة والمصابين والمنكوبين قبلوا النصرانية حفاظاً على حياتهم ، ووصف أحد القادة المنصرين أن حرب العراق نعمة لهم ، وأفادت التقارير التي نشرتها مجلة "المجتمع" الكويتية أنه قد دخلت العراق أكثر من مائة منظمة تنصيرية ، وكلها تخضع إلى هيئة تنسيقية عليا باسم "مكتب تنسيق إغاثة العراق" (IRCO) ، وأفعى المساد الإسرائيلي تصوّل وتجول في العراق ، وتمارس أبشع عمليات اغتيال للعلماء وتصفية العقول في تاريخ البشرية تحت غطاء الاحتلال الأمريكي ، فهجر عدد هائل من العلماء والأطباء والمبتعدين ورجل الأعمال إلى دول أخرى هرباً من الخطف والابتزاز والقتل".

حملة جديدة لغزو العالم الإسلامي

واضح رشيد الحسني الندوى

في سياق استعراض الأحوال السيئة ، والقضايا المشتبكة ، في العالم الإسلامي ، والأخطار المحدقة بتدخل القوى الكبرى العالمية في شؤونها ، ومحاولاتها لتغيير الوضع السياسي والثقافي لهذه الدول ، تذكر الصحف الإسلامية باهتمام خطراً آخر وهو أخطر من الغزو العسكري ، فإنه يشكل تغيير الأذهان والأفهام والسلوك والأخلاق ، إنه خطر الجمعيات التنصيرية التي تصاعد نشاطها أخيراً في رعاية الفاتيكان ، وجاء في التقارير أن بعض الشخصيات المعروفة من المثقفين والفنانين ارتدت ، وقام الفاتيكان بالاحتفاء بهم ورعايتهم ، ثم إرسالهم إلى دوّلهم كدعوة إلى النصرانية .

نشرت مجلة "المجتمع" الكويتية أن "ريتشارد أوين" كتب في صحيفة "التايمز" البريطانية يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٨ يقول : "إن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الذي عرف بانتقاداته للإسلام يخاطر بتجديد الشقاقي مع العالم الإسلامي ، بقيامه بعميد صحفي ترك الإسلام وقيامه خلال الاحتفالات بعيد الفصح (القيامة) بعميد "محلـي عـلام" البالـغ مـن العـمر ٥٥ عـاماً وـالـمـولـودـ فيـ مصرـ وـالـمعـرـوفـ بـانتـقادـاتهـ لـالـإـسـلامـ وـتـأـيـيلـهـ لـإـسـرـائيلـ".

كانت الجمعيات التنصيرية في عهد الاستعمار أدلة مؤثرة لترسيخ قدم المستعمر ، بإدخال عدد وجيه من المواطنين في النصرانية ، ويقبلون النصرانية يصبح المتصرر مؤيداً للمستعمر ، ولعل هذه النشاطات التنصيرية ترجع إلى الشعور بأن الاحتلال للأراضي قد لا يدوم ، والقوى الغازية ستطرد يوماً من البلدان التي استولت عليها ، كما حدث فعلاً فقد جلت الدول الاستعمارية عن سائر مستعمراتها عسكرياً .

عملت هذه الجمعيات في عهد الاستعمار جنباً بجنب مع القوى

صادر وأوضاع

الإسلام في الدول الأوروبية، وخطر ازدياد عدد المسلمين فيها، وأبدت بعض الدوائر السياسية بالنسبة لهذه الظاهرة مخاوفها بأن هذا الاتجاه إذا استمر فإن بعض الدول الأوروبية ستتحول إلى دول الأغلبية الإسلامية بانتشار الإسلام، وأفادت بعض التقارير أن بعض المناطق بدأت تظهر كمناطق إسلامية فعلاً، بارتفاع ماذن المساجد، ودور التعليم الإسلامي والماراكز الإسلامية وببدأ المسلمين فيها الجدد منهم والقادمون من البلدان الأخرى يشكلون نسبة لها وزن، ونفوذ في الحياة الاجتماعية والسياسية كذلك، وله تأثير على الناخبين في الانتخابات، وقد انتخب منهم عدد في المجالس البرلمانية أو الإدارات الحكومية ولذلك طالبت بعض الجهات اليمينية بطرد المسلمين من بعض مناطق تمركزهم، واتخاذ قوانين لمنع تغيير الدين.

ويدعى المسؤولون عن الجمعيات التنصيرية أن عدد الذين يدخلون في الإسلام يزيد عن عدد الذين يدخلون في النصرانية رغم ما تبذل الجمعيات التنصيرية العالمية من وسائل، وما تقدمه من إغراءات مادية، ودعایات في وسائل الإعلام ورفعهم إلى مراتب عليا. تفرض على الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي وإن كان اقتصادياً أو إنسانياً قيود ويراقب على نشاطات العاملين، وتوجه إليهم تهم مساعدة الإرهاب ولكن الإسلام يكسب له الأنصار من بين معارضيه.

يدل ذلك على صلاحية الإسلام ويوضح ذلك بالنوعية لقبول النصرانية، وقبول الإسلام فمن يقبل الإسلام قبله عن اقتناع ورغبة، وفهم دراسة لتعاليمه، وتأثير قلبي بالاجتماع مع متبعيه متاثراً بأخلاقه ومعاملاته، رغم الدعاية الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين التي أصبحت اليوم موضة يتتسابق فيها الأدعية، والإهانات والسلوك الشائن مع المسلمين وتضييق حياتهم، أما الذين يقبلون النصرانية يقبلونها للأسباب المادية أو حالة الخوف والخطر كوسيلة للنجاة من مأساتهم.

إن محاولة الجمعيات التنصيرية للدخول في معاقل الإسلام كالعراق وتركيا والجزيرة العربية والسودان وتونس وموريطانيا ودول

ومن جهة أخرى رصد الفاتيكان أكثر من ٥٠ مليون دولار كمرحلة أولى لاختراق الشعب التونسي وسفارته تتصل بعدد من مؤسسات التنصير، فانتشرت المؤسسات التنصيرية وفروعها في مدن تونس المختلفة، وتمارس المنظمات الفرنسية دوراً مشبوهاً من خلال إغراء الشباب الراغبين في الهجرة إلى أوروبا بمساعدتهم في الحصول على تأشيرات دخول لبعض دول الاتحاد الأوروبي مقابل اعتناقهم النصرانية.

والغريب في أمر الجمعيات التنصيرية أنها تعتبر الكوارث والآسي الإنسانية نعمة، لأن أعمالها تقوم على استغلال شقاء الإنسان، وكذلك ينحصر نجاح هذه الجمعيات في أماكن البؤس، والشقاء، والحرمان، فلا تقدم الرغيف إذا قدمته مجرد إغاثة الجائع، بل لإغرائه على قبول دين جديد، والدين الجديد سهل لا توجد فيه تعليمات، ولا قيم يتمسك بها الإنسان الذي يقبل ذلك الدين، فهو حر في و تستغل النصرانية بعض النفوس من هؤلاء المتنصرين الجدد للهجوم على الدين الذي هجره، وارتدى عنه إذا كان عاقلاً أو عالماً، وتعينه قسيساً لأنه في خير موقف للتأثير على أتباع دينه السابق.

إن انتشار النصرانية في البلدان الإسلامية أمر غريب لا يؤيده العقل، فإن أي عاقل يعرف تاريخ الاستعمار وسلوك الدول الأوروبية التي تدعى أنها تدين بالنصرانية مع الدول غير النصرانية، فلا يمكنه أن يقبل النصرانية إلا إذا كانت له مسوغات أخرى، غير الدين، كما حدث في المناطق المنكوبة كأفغانستان، والعراق، والصومال، ودول أفريقيا أخرى، حيث الجوع والفقر المدقع والجهالة المتفشية، والخطر الداهم على الحياة، كان ظاهرة الحياة، فمن يقبل النصرانية يقبلها للنجاة من الموت، أو للخلاص من بؤسه وشقائه.

وتقتنع الجمعيات التنصيرية بهذا الانتقام لأن غرضها الرئيسي هو تغيير الوضع السكاني وإدخال النصرانية في البيئة الإسلامية ويتوقع بذلك تغير الديموغرافية للبلاد في المستقبل.

وتتزامن مع هذه الحملات التنصيرية المتضاعدة دعاية لانتشار

صَدْرُ وَأَوْضَاعٌ

من الحركات السياسية الأخرى ، وتحتاج إلى مواجهة علمياً واجتماعياً وسياسياً وتحتاج إلى وسائل تتخذها الحكومات ووسائل يتخذها العلماء والدعاة والقادة لأن الذي يقبل هذه الديانة لصلحة مادية، ينضم أولاده في المستقبل إلى هذه الديانة عقلياً وتقليدياً كما قال أحد المنصرين ، وعلى غرار حركات التنصير تجري حملة مساوية لحركة القاديانية ويسيء القاديانيون على نفس المنهج ، منهجه استغلال المؤس والفقير والجهالة ، من بسطاء المسلمين وجماهيرهم وقد تفرس لهذا الخطر علماء الهند ونهضوا لمواجهة القاديانية ، ويسيء القاديانيون على خطى المنصرين ، فيختارون لنشاطهم أماكن منفصلة ومنقطعة ، يخاطبون من يجهل تعاليم دينهم وتشكل حركتهم كذلك خطراً كبيراً في آسيا وأفريقيا لأن حركتهم تشكل نفي ختم النبوة ، وتشتمل على عقيلة متوازية تبنتها القوى الاستعمارية لصلحتها ، ويستخدم القاديانيون سائر وسائل الدعاية وهم نفوذ في الإعلام الإلكتروني ويخدعون السذج من المسلمين والمسلمين الجدد .

إن هناك فارقاً كبيراً بين الدعوة الإسلامية والتنصير ، فإن الدعوة الإسلامية تركز على عرض تعليم الدين الحنيف ، من العقيدة ، ومن المعاملات والسلوك ، فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ولا تتعرض الدعوة الإسلامية لأي عقيلة أو فلسفة ، لا سباب فيها ، ولا شتم ، ويكف عن القرآن الكريم عن السب والشتم ، والغلظة **(ولَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)** (الأنعام الآية/١٠٨) وكذلك يحترز كل مسلم مهما وجد من استفزاز ، عن شتم أحد ، وقد أمر الرسول ﷺ الذي أمر بحب سيدنا عيسى عليه السلام والإيمان بسائر الأنبياء واحترامهم ، وعلى العكس النصرانية تقوم على السب والشتم ، والإساءة إلى الأنبياء الآخرين وبالخصوص خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ الذي بشر به نبيهم عيسى بن مريم عليه السلام **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنِ التُّورَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ**

أفريقية بائسة ، وإعلان البابا وإعادته لهذا الإعلان أنه سينتصر أفريقياً أو أي بلد إسلامي آخر ، هو في الواقع يدل على رد فعله لانتشار الإسلام في أوروبا ، وإن هذا الادراك هو الذي يدفع بعض النفوس الحاقلة الصليبية التي تنتمي إلى الحزب اليميني النصراني المتطرف إلى حملة الكراهية للإسلام والتجوء إلى نشر مواد مسيئة إلى الإسلام ، والاصرار عليها ، وخرق سائر التوانيم الأخلاقية في ذلك .

إن الذين يقبلون النصرانية في هذا العصر الذي يواجه فيه العالم كله خطر الاستعمار والتدخل الأجنبي والحروب الطاحنة التي تغذيها وتقوها وتحركها الدول التي تحضن النصرانية وتسعى لنشرها ، هم يخدعون أنفسهم أو يتوجهون لأغراض مادية شاملة تاريخ الكنيسة الرومانية المليء بالاستبداد وقمع الحريات ، وفرض الحظر على العلم ، فإن موقف النصرانية المعاصر ينفي كل ادعاءات الديانة النصرانية من الحب والتسامح والاحترام المتبادل وتقوم كلياً على الكراهية للأديان الأخرى ، والاستغلال والاستبداد وقمع الحريات والاستعمار عقلياً وعسكرياً ، وقد ظهرت هذه الغطرسة أخيراً في موقف الفاتيكان إزاء الطلب الذي قدمه العلماء من المسلمين والزعماء المسيحيين لإجراء الحوار ، وكان رده رداً قسرياً مهيناً وقد أعاد النظر في هذا الموقف ووافق على إجراء الحوار لكنه أعاد الهجوم على الإسلام .

لقد كان عهد استبداد الكنيسة عهد الظلم بالإجماع لغيبة الجهة والتخلف الاقتصادي وظلم القسسين والرهبان ولا تستطيع الكنيسة المعاصرة أن تبني هذه الحقيقة .

وقد عممت في هذا العهد الحروب بين مختلف طوائف النصرانية والقوميات ، وسفكت فيها دماء الأبرياء ، وهي أيضاً حقيقة تاريخية رغم دعوى النصرانية بأنها دين الحب .

وفي عهد غلبة العلم تحالفت النصرانية مع القوى الاستعمارية ولم تتحرك هذه الديانة التي تعلم الحب لمنع متابعيها من سفك دماء الأبرياء في البلدان المستعمرة .

إن هذه النشاطات التنصيرية الجديدة في العالم الإسلامي أخطر

٤٥٢ - ج ٥٢ جمادى الآخرى ١٤٢٩

يونيو ٢٠٠٨

٨٠/٨٠

بعدي إسمه أَحْمَد فَلَمَّا جَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
(الصف الآية/٦) وعلى عكس تعاليم المسيح عليه السلام كان موقف
النصارى معانداً ومسيناً وليس هذا الموقف المعاند المسيئ إلى رسول
الله ﷺ جديداً أو حديثاً، بل يرجع هذا الموقف إلى عصر الحروب
الصلبية ، وعلى هذا الموقف سار علماء الغرب في عصر العلم ،
وعلى رأسهم المستشرقون ، فلم يترك أحدهم من النعوت المسيئة
والرذائل إلا ونسبوه إلى ذات الرسول ﷺ ولم يحترز عن هذا الموقف
السافل وسوءخلق والرذالة القسيسون والرهبان ، وقد وصفهم
القرآن الكريم أنهم لا يستكرون ولكن القسيسين والرهبان في هذا
العصر ، شعارهم الاستكبار ، والتعنت ، أما الإسلام فيشهد تاريخه
بحسن التعامل والإحسان إلى أتباع الأديان الأخرى ، وخاصة النصارى
منهم ، وأكبر دليل على ذلك السلوك الحسن لدى فتح مصر وفتح
القدس ، وفتح الأندلس ، وفتح القدس طينية ، ودول النصارى
الأخرى ، ولكن الدول النصرانية عند ما غزت الدول الإسلامية ،
قامت بالقتل والنهب والإساءة وإكراه الرعايا على تغيير ثقافتهم
ودينهم ، ويشهد بذلك تاريخ الاستعمار الغربي ، وقد أعيد هذا
السلوك الاستبدادي أخيراً في العراق وأفغانستان .

كان سلوك المسلمين سلوكاً حضارياً ، سلوكاً إيجابياً ، وإنسانياً ،
ويظهر ذلك الاتجاه وطبيعة العمل في الدعوة الإسلامية ، وعلى هذا
المنهج يجب أن يواجه المسلمون خطر التنصير ، وحرب العداء ،
للإسلام ورسول الله ﷺ فلا يرد العداء بالعداء ، بل بالإقناع والتفهم
بطرق العلم والعقل الرزين ، بطريق الدعوة إلى الخير ، والتبشير
وإليه يرشد القرآن الكريم **«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل الآية/١٢٤) و **«أَدْفِعْ بِالَّتِي**
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلَيْ حَمِيمٌ وَلَا يُلْقَاهَا
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ» (آل عمران الآية/٣٣) .

من معانٰي القرآن — بأقلام الشباب : مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوى (٢) (١٨٨٤-١٩٥٣)

بقلم : الأخ الاستاذ محمد فرمان الندوى

شهد :

شهد معناه لغة : حضر في زمان أو مكان ، ومنه اشتقت الكلمة الشهادة
والشاهد ، فاتضح أن الصيام في رمضان ليست مكتوبة إلا على من كان حاضراً
في هذا الشهر ، وهناك صورتان لعدم الحضور ، أولاهما : أن يأتي شهر الصيام ،
وكان الصائم قد توفي من قبل ، وأخراهما : أن يهل هلال رمضان ، وكان
الصائم حياً يرزق ، لكن يسكن بمكان لا يصل إليه ذلك الشهر ، وتتمثل هذه
الصورة في المناطق التي يكون فيها نظام الشمس والقمر سواء ، بحيث يكون فيها
النهار ليلة شهور ، والليل كذلك ، ولا يطلع على أهلها هلال رمضان ، فلو أراد
مسلمون هذه المناطق أن يصوموا نظراً إلى تقويم البلدان الأخرى المجاورة لها
ويفطروا ، لكن صحيحاً ، ثبت ذلك من حديث الدجال (١) .

أما المناطق التي يكون فيها النهار ليلة ثانية عشرة ساعة أو عشرين
ساعة ، ويكون فيها الطقس بارداً من عجيب قدرة الله تعالى ، ليقلل النصب
باز ديار مدة النهار من بروفة الموسم ، فلا يأس بالصوم هناك ، وإنني صمت أنا
وغيري من المسلمين في بريطانيا ، وما شعرنا بنصب أو وجع (٢) .

عصبة :

جاء في القرآن قول عز من قائل : **«الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عَضِينَ»**
(الحجر الآية/٩١) فعُضٰين جمع ومنصوب ، واشتقت منه كلمتان ، أولاهما : عضو
وآخر من المسلمين في بريطانيا ، وما شعرنا بنصب أو وجع (٢) .

(١) رواه الترمذى في أبواب (باب ما جاء في فتنة الدجل ، عن التوادى بن سعيد : الكلابي -
في حديثه الطويل - جاء فيه : أربعين يوماً يوم كسنة ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامكم ،
قل قلنا يا رسول الله ! أرأيت اليوم الذي كالسنة ، أتكلفنا فيه صلاة يوم قل : لا ، ولكن
اتدوا له ، رقم الحديث / ٢٢٤٠) ، قل أبو عيسى : هذا حديث غريب ، حسن صحيح ، لا نعرفه
لا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . (٢) سيرة النبي ج / ٥ ص / ١٥٧ .

معناه جزء، فلو شرحا الآية نظراً إلى المعنى المذكور لكان مفهومها: جعلوا القرآن مقطعاً، وأخراهما: عضة: معناها: الكذب، الزور، ولو حملنا هذا المعنى على الآية لكان مدلولاً: جعلوا القرآن كلاماً مملوءاً بالكذب والوهن والخيل، فعُضٰين وقعت هنا مفعولاً ثانياً بجعلوا كما أن أرضين جمعاً من أرضة، وسنين جمعاً من سنة في حالي النصب والجر، وكذلك عُضٰين من عضة، وأما ما شرحه العلامة التهانوي هو أرجح عندي (٤/٣).

اختنان:

كان الحكم في فجر الإسلام أن الناس لا يتقرّبون أزواجاً لهم في ليالي صيامهم، فقد كانت بعض الطبائع تتفرّز منه كثيراً، فأنزل الله لهم التيسير، ويقي التقييد بالنهار، وقد جاء في سورة البقرة بهذه المناسبة: «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ» (البقرة الآية/١٨٧) استعمل الله هنا للخيانة صيغة الجمع فعلم منها أن الخيانة كانت ترتبط بالجماعة، ويتبين الاستمرار أيضاً من خلال دراسة أسلوب الآية، فهل يمكن لنا أن نقول: إن خيانة النفس كانت مستمرة في حياتهم، فكما أرى أن تختانون من مصدر اختنان، والاختيان معناه: حدوث نفسيّة الخيانة، فكان مفهوم الآية أن هذا الحكم كان شاقاً على بعض الطبائع، فتحدث في نفوسهم وساوس نفسيّة، رغم أنهم لا ي عملون بها.

يقول تلميذ العلامة الشیخ المفسّر محمد أوس بن الجرامي: شرح العلامة الشرح الوافي في إحدى دروسه التي كان يلقاها في مجمع دار المصنفين بأعظم جراء الهند، وقد كنت حاضراً في درسه، ثم كلف المستمعين أن يبحثوا عن دليله في كتب المصادر، راجعـت مفردات القرآن للإمام اللغوي راغب الأصفهاني، فوجـدت المعنى المذكور أعلاه، فلما أخبرته سرّبه سروراً، واطمأن

(٢) قـل العـلـامـة مـحمدـ أـشـرفـ عـلـيـ التـهـانـوـيـ: عـضـيـنـ جـمـعـ عـضـةـ، وـأـصـلـهـاـ عـضـوـةـ بـعـنـىـ جـزـءـ، فـهـوـ مـعـتـلـ الـلـامـ، مـنـ عـضـهـ بـالـتـشـدـيدـ جـعـلـهـ أـعـضـاءـ وـأـجـزـاءـ، وـجـعـ السـلـامـ بـحـرـ مـاحـذـفـ مـنـهـ، وـلـاـ فـحـقـهـ أـنـ لـاـ يـجـمـعـ جـعـ السـلـامـ الـذـكـرـ لـكـونـهـ غـيرـ عـاقـلـ (بيان القرآن تفسير آية: «الذين جعلوا القرآن عضين»). (٤) مكتوبات سليماني ج/٢ ص/١٢٦.

به (٦/٥).
гинيف:

جاء في كتب الأحاديث لبيان أعمال رسول الله ﷺ التعبدية قبل النبوة معناها: يتبعـ، هذهـ الكلـمةـ وإنـ كـنـتـ أحـلـ لهاـ تقـديرـاـ لـكـنـهاـ لاـ توـافـقـ هـوـيـ، وـلـاـ تـنـسـجـ مـعـ تـفـكـيـرـيـ، فـالـأـصـلـ بـهـنـهـ الـمـنـاسـبـةـ: يـتـحـنـفـ معـناـهـ: يـتـخـذـ الدـينـ الحـنـيفـ مـذـهـبـاـ لـهـ أـيـ الـأـبـراهـيمـيـ.

يقول تلميذه الشیخ محمد أوس بن الجرامي رحمه الله: من أحسن المصادرات أني كنت أراجع البداية والنهاية لابن كثير فوجـدت أثنـاءـ البحثـ قولـ ابنـ الأـعـرابـيـ هـذـاـ: «وـقـدـ سـئـلـ ابنـ الأـعـرابـيـ عـنـ قـولـهـ: يـتـحـنـفـ أـيـ يـتـبعـ؟ـ فـقـلـ: لـاـ أـعـرـفـ هـذـاـ، إـنـاـ هـوـ يـتـحـنـفـ عـنـ الـحـنـيفـيـ دـيـنـ إـبـراهـيمـ عـلـيـهـ السـلـامـ» (٧)، فـقـدـمـتـ هـذـاـ القـوـلـ إـلـىـ الـعـلـامـ النـدوـيـ فـتـسـبـبـ (٨).

وقـلـ ابنـ منـظـورـ فـيـ لـسـانـ الـعـربـ: حـنـفـ عـنـ الشـيـءـ وـتـحـنـفـ: مـلـ، وـالـحـنـيفـ: الـمـسـلـمـ الـذـيـ يـتـحـنـفـ عـنـ الـأـدـيـانـ أـيـ يـمـيلـ إـلـىـ الـحـقـ، وـقـلـ أـبـوـ عـمـروـ: الـحـنـيفـ الـمـائـلـ مـنـ خـيـرـ إـلـىـ شـرـ أـوـ مـنـ شـرـ إـلـىـ خـيـرـ» (٩).

لوـ سـلـمـنـاـ أـنـ الـإـنـسـانـ اـخـتـارـ الشـرـ بـعـدـ مـاـ تـرـكـ الـخـيـرـ لـكـانـ معـناـيـ "ـحـنـيفـ"ـ الـكـافـرـ وـالـمـنـافـقـ كـمـاـ فـيـ الـعـبـرـيـةـ وـالـسـرـيـانـيـةـ، وـلـوـ قـلـنـاـ: إـنـهـ مـلـ إـلـىـ

(٥) الاختيان: مرودة الخيانة، ولم يقل تختانون أنفسكم، لأنـهـ لمـ تـكـنـ مـنـهـمـ الخـيـانـةـ، بلـ كـانـ مـنـهـمـ الاختـيـانـ، فإنـ الاختـيـانـ تـحـركـ شـهـوـةـ الـإـنـسـانـ لـتـحـريـ الخـيـانـةـ، وـذـكـرـ هوـ الشـارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ تـعـلـىـ إـنـ النـفـسـ لـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ (مـفـرـدـاتـ الـقـرـآنـ لـلـأـصـفـهـانـيـ)ـ مـلـفـخـ وـنـ.

(٦) صحـيـفةـ تـعـمـيرـ حـيـةـ ماـيـوـ شـهـرـ سـنـةـ ١٩١٤ـ، مـقـلـ حـولـ "ـالـعـلـامـ السـيـدـ سـليمـانـ النـدوـيـ وـعـلـومـ الـقـرـآنـ".

(٧) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ لـابـنـ كـثـيرـ جـ٣ـ صـ٦ـ٥ـ، طـبـعـ مـكـتـبـةـ الـعـارـفـ بـبـرـوـتـ، وـقـلـ ابنـ هـشـامـ: الـعـربـ تـقـولـ: التـحـنـفـ: التـحـنـفـ.

(٨) تـعـمـيرـ حـيـةـ ماـيـوـ سـنـةـ ١٩٦٤ـهــ.

(٩) لـسـانـ الـعـربـ لـابـنـ منـظـورـ مـلـهـ: حـ، نـ، فـ، دـارـ صـلـطـ بـرـوـتـ ١٩٩٤ـ.

بِزَایا اِلْسَلَمُ فِی شِعْرِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمَطَّابِ (*)

بقلم: الدكتور أنصار أحمد الأعظمي
(جامعة جواهر لال نهرو تيرنادي)

لقد كان من أهم ما التفت إليه الشعراء المحافظون في تعريفهم بزايا الإسلام واشادتهم بالحضارة الإسلامية تمجيد العظماء من رجال الإسلام الذين أخلصوا دينهم لله، ووهبوا حياتهم لنصرته، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكانوا في تاريخ الإسلام سطوراً مضيئة أضاءت طريق الأمة وأنقذتها من التيه والضياع.

فإذا كانت الأمة الإسلامية في هذه الفترة على مقربة من الضياع توشك أن تعصف بها أحداث السياسة ومؤامرات الاحتلال ومتغيرات الظروف الاجتماعية والثقافية فإن استدعاء العظمة الإسلامية في مثل هذه الظروف يصبح أمراً واجباً لأنه يرد إلى الأمة ثقتها بنفسها ويقوى أملها في الخروج من مأزقها ويمد أعینها إلى ساحة البطولة والجند ويغري أبناءها باستلهام العظمة من تاريخ العظماء الذين صنعوا الإسلام فكانوا رجاله ومحانه، وكانوا للأمة هداة ومعلمين.

وكانت الأمة في أمس الحاجة إلى هذه الدروس النافعة تستلهما من تاريخ عظماء الإسلام، تربية لوجدان أبنائهما، وبعثا

(*) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل بن بكر، ولد حوالي عام ١٨٧٠ ميلادياً "باصونة" إحدى قرى مديرية جرجا المصرية من أبوين، مصريين، وكان والده رجلاً صلحاً متتصوفاً، فنشأ عبد المطلب في البيئة الدينية، وحفظ القرآن الكريم، وجاء إلى القاهرة للدراسة بالأزهر، وبعد سبع سنين قضتها بالأزهر التحق بدار العلوم، وتخرج فيها عام ١٨٩٦ م، واستغل بالتدريس في المدارس الابتدائية، ثم اشتغل مدرساً بالقضاء الشرعي ثم بالأوقاف ثم مدرساً بدار العلوم حتى توفي عام ١٩٣١ م.

السلوك الحسن انقطاعاً عن العمل السريع لكن مفهومه ما يتكلمه العرب: الدين ، المتعبد ، فعلم منه أن معنى هذه الكلمة يتعين وفقاً لموضع الاستعمال في معرض المدح والذم ، وحروف الصلة ، كانت كلمة "حنيف" تستعمل أولاً مختصة بالله أو بالدين نحو: الحنيف لله ، الحنيف للدين ، ثم لم تبق الحاجة إلى ذكر الصلة من كثرة الاستعمال ، فصار الاستعمال مطلقاً للحنيف في المعنى المذكور أعلاه ، وقد ورد في القرآن استعمالها بالصلة وحذفها: ففي سورة الحج جاء بالصلة ، قال الله تعالى: **«حُنَفَةُ اللَّهِ * غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ»** (رقم الآية/٣٣) ، وفي سورة البينة استعمل بحذف الصلة: **«مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ حُنَفَةُ»** (البينة الآية/٥) فمعنى حنفاء ، حنفاء لله أي مائلين إلى الله ، انقطاعاً من كل شيء (١٠).

غلف: يقول الشيخ المفسر الأستاذ محمد أويس النجراوي صاحب التفسير القيم ! كان السيد سليمان الندوى قد درس الأنجليل بكل إمعان ، فالنسخة التي كانت متوافرة في مكتبة دار المصنفين ملؤة بالإحالات العلمية ، وكان يستفيد منها خلال دراسة الآيات التي تتعلق بأهل الكتاب ، مثلاً جاء في القرآن الكريم: **«وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفُ»** ، يشرح المفسرون عامة هذه القطعة قائلاً: أن اليهود قالوا للرسول ﷺ: إن قلوبنا ضيقة لا تتسع لهم كلامك ، إن العلامة الندوى كان يقول : قول المفسرين هذا صحيح بالنظر إلى المفهوم والغاية ، الواقع أن هذه الكلمة من الكلمات التي يتعاون بها اليهود فراراً من الدين ، وكانوا يستعملون بهذه المناسبة كلمة غلف ، ترجمتها بالأردية "نامختون" يوجد استنادها في الأعمل (١٠١٠٧) والروميون باب ٢ من الأسفار المسيحية (١١).

(١٠) أرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوى ج/٢ ص/١٦٢ ، طبع دار المصنفين أعظم جراه ، الهند.

(١١) تعمير حياة مايو سنة ١٩٦٤ م.



الحاجة إلى رسول الله ﷺ بعد أن عمّ الفساد والظلم أرجاء الأرض .
أقل عثار الكون من بعد ما هوى

بي في الدنيا سياسة جهلاً
ومدى في أرجائه في ملة
حنفيَّة أتباعها حنفاء
بناء على أساسها وكم اعتلى
بأيدي الهدى بعد السوار بناء
وشيده بالأمن فالعدل شرعيه

يقوم عليهما عشر أمراء
وعلم أهليَّة الحياة سعيدة

فهم بالهدى في ظلها سعداء (٤)

وكان علي ابن أبي طالب - كرم الله وجهه - مثالاً لما يرجيه المسلمون من قيم فاضلة ومثل علياً تمثل في العلم والأدب والشجاعة والنجلة والزهد والخشوع والأمانة في الحكم، والعدل في القضاء ، وغير ذلك من قيم الإسلام التي جسدها علي بن أبي طالب أمم المتقين .

ويقول عبد المطلب يصف علياً بالعلم الزاخر واليقين الصادق والنفس العالية التي غذاها الدين فثبتت على التقوى وارتقت فوق الحطام الفاني :

وصل أهل السلام تحد علياً
أمام الناس يتدر السلاماً
حوى علم النبوة في فؤاد
طما بالعلم زخاراً فطاماً
سقاها الحق أفواه المعاني
وهيمه به حبافها

(٤) ديوان عبد المطلب ، ص / ٣٠٩ .

للقيم الكامنة في قلوبهم وتبصرة لهم بعالم الطريق نحو الحق ، ولعل هذا ما قصد إليه "أحمد شوقي" حين نظم ديوانه "دول العرب وعظماء الإسلام" وهو في منفاه فيما بين (١٩١٥-١٩١٩) إذ يقول :

حتى أراد الله أن نظمت من سير الرجل ما استعزمت
علماباً يبعث في الأحداث جلائل الأعمل والأحداث (١)
ومن أجل ذلك اتجه الشعراء المحافظون إلى عظماء الإسلام
يشيدون بأخلاقهم ويتدحون مآثرهم ويجدون موافقهم ويلتقطون من
أحداث حياتهم ما يضي الطريق للمعاصرين .

هذا ! فقد كان رسول الله ﷺ أعظم العظماء في تاريخ الإسلام
فقد أعجب به الشعراء فأشادوا بأخلاقه وشمائله وبنجزات دعوته .
ويصور عبد المطلب جانباً من الفساد قبل بعثة النبي - ﷺ -

فيقول :

ولو ترى قبله الدنيا وما لقيت
من البلاء وما ذاقت من النقم
والناس ضلال فقر في مسلحتها
هيمن السرح أو غفل من الغنم
ضلوا سوء النهى فاستمسكوا عمها
بكل حبل من الأهواء منجداً
جهل مبيد وفوضى عب زاخرها
والعيش بين الضنى والفتنة العم (٢)

ويردد ما سجله التاريخ من مظالم ناءت بها الإنسانية قبل بعثة النبي ﷺ ومفاسد انتشرت بالشرق والغرب ، فالحكام طغاة ورجال الدين بغاة والشعوب تئن من الحكم المطلق ومن الجحور المهنك .

وإذن ، فقد كان البشر في أشد الحاجة إلى منقذ يرتفع بهم من وهادهم التي تردوا فيها (٣) ، وفي هذا يقول عبد المطلب مصوراً ملدي

(١) أحمد شوقي : ديوان دول العرب وعظماء الإسلام ، ص / ٦ .

(٢) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٥٧ . (٣) أحد الحوفي : الإسلام في شعر شوقي ، ص / ٨٩-٩٠ .

وزوده اليقين به فكانت
أفاويق اليقين له قواماً

ونفساً لم تنق طعم الدنيا
ولا لذت من الدنيا طعاماً

غذاها الدين مذ كانت فشت
على التقوى رضاعاً وانفطاماً

زكت فسمت عن الدنيا طلاباً
وأضنى حبها قوماً وتاماً

أما شجاعته وبطولته :

فدع عنك المواطن والمغازي

ومن سل الظبا فيها وشاماً

فجبه للطغة بها وجوهاً

وجدع للضلال بها حثاماً (٥)

وكان محمد عبله من مقدمة الداعين إلى الإصلاح الديني
والاجتماعي الذين أشد الشعراً بموافقتهم في الإصلاح كما أشدوا
بموافقتهم في الدفاع عن الإسلام ضد خصوصه من أمثل "هانوتو" و
"قرح انطون" اللذين هاجما على الإسلام وانتقداه، ووجهها إليه من
المطاعن ما هو منها بريء .

وكان محمد عبله قد انبرى للرد عليهم وانتصف للإسلام
انتصاراً رد الحق إلى نصابه، وكان هذه الغيرة الدينية التي أبداهها محمد
عبله في الدفاع عن الإسلام أثرها في شعراً عصره الذين أعجبوا
بعلمه وخلقه وإخلاصه لدینه وجرأته في الحق، وقد ظهر في مدحهم
محمد عبله كما ظهر في رثائهم له، فيقول عبد المطلب يرثي محمد
عبله ويشيد ب موقفه في الرد على "هانوتو" .

فكم من يد للدين أسلى وموطن

تبين فيه للذى ضل رشه

(٥) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٤٢ .

٩ - ج ٥٣ جمادى الآخرى ١٤٢٩ - ٥١

وما نسي الأقوام موقفه الذي

به رد "هانوتو" وقد ضل كيله
وكان يظن ابن الفرنسي أنه

أتى بالذى لا يمكن الناس جعله (٦)

وفي مجال العقيدة : دعا الإسلام إلى توحيد الله تعالى فصح

بهذه الدعوة خطأ البشرية في العقيدة الإلهية التي انحرف بها الفلاسفة
القدماء وأهل الأديان السابقة (٧) .

وفي ظل عقيدة التوحيد تستلهم النفوس معاني الأنفة والعزة
والجرأة والإقدام والبسالة والشجاعة وفي ظلها يتحرر البشر تحرراً
كاملًا و حقيقياً من العبودية للبشر ، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية
لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل
للإنسان ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع (٨) .

فالتوحيد هو الأساس الذي يقوم عليه بناء الإسلام أو هو جوهر
الشريعة الإسلامية ، فيقول عبد المطلب في نشيد رسول الله - ﷺ -
عن الإسلام .

المجد سر سنانه

والعلم لمع ضيائه

والعدل أصل بنائه

فصل المالك والقرون (٩)

ومن أثر التوحيد في النفس المسلمة أنه يحررها من الخوف
لغير الله الواحد فتنطلق في طريق السعادة والمجد لا يردها عن غايتها
بشر ، وتلك مزية من مزايا الإسلام .
لقد أكد المصنفوون من مفكري الغرب أن أي شريعة لم تتمكن

(٦) سعد الدين الجيزاوي : أصداء الدين في الشعر المصري الحديث ، ص / ٢٥٨ .

(٧) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصوصه ، ص / ٥٥ .

(٨) سيد قطب : معالم في الطريق ، ص / ١٠٨ .

(٩) ديوان عبد المطلب ، ص / ٣٠٠ .

وذلك ما فعله الإسلام حين رفع راية الجهاد واستل سيفه في وجه العداون على الحياة والعقيدة وحرية الإنسان .
فحق السيف - كما استخدمه الإسلام - "مرادف لحق الحياة وكلما أوجبه الإسلام فإنما أوجبه لأنه مضطر إلى التخلص عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوة والاعتقاد فإن لم يكن درءاً للعدوان . والافتیات على حق الحياة وحق الحرية فالإسلام في كلمتين : هو دين الإسلام " (١٣) .

وهذا ما يؤكد تاريخ الحروب الإسلامية في صدر الدعوة إذا ثبت : "أن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة إلا مدافعين لمن يصدون الدعوة باللوامة الحسنة من ذوي السلطان ، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية ، كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم " (١٤) .

إن الحرب لم تكن قط هدفاً للمسلمين ، ولم تكن قط بغياً وعدواناً ولا مغنىً ، وإنما كانت وسيلة لإقرار السلام ، وإرضاء الحق وإعلاء كلمة الدين ، فيبرئ عبد المطلب سيف المسلمين من أغراض الدنيا وهو النفوس فيقول :

في الله ما جردوا منها وما غمدوا
في الله ما سفكوا من أنفس ودم
لم يملوها لدنيا قبل ما جمعوا
منها ولا عن هوى في النفس محكم (١٥)

وقد دافع عبد المطلب عن الحرب في الإسلام "ودخص زعم الزاعمين بالإسلام أنه انتشر بحد السيف وقوة الغزاة لا على الحجة والبرهان وقبول العقل ، وأبان أن القتال لم يكن إلا لرد عدوان

من أن تعلو فوق شرع "محمد" هيمهم وأن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة لل تعاليم الإسلامية وأن أهل أوروبا بجمع مفاهيمهم لم يصلوا بعد إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد (١٠) .

ومن مزايا الشريعة الإسلامية أنها عامة شاملة للناس جميعاً ، ليست بجنس أو وطن أو زمن وإنما هي عامة شاملة لكل زمان ومكان وأنها تناطح الإنسان من حيث هو إنسان دون نظر إلى جنسه أو لونه أو وطنه أو زمانه أو مكانه ، وفي هذا ما يدل على عظمية الشريعة الإسلامية ووفائها بحلقة الإنسانية مهما تطور بها الزمان أو تغير بها المكان .

وفي هذا يقول عبد المطلب ي مدح رسول الله - ﷺ - ويشير إلى عموم رسالته :

قلب جرى فيه أن الله حمله
عبد البرية من عرب ومن عجم (١١)
وأما عن مزايا الشريعة الإسلامية فيما يتصل بالعلاقات الدولية أو السلام وال الحرب فإن الإسلام قد بنى علاقاته الإنسانية على أساس السلام و مد يده باللوامة والإخاء والرحمة لكل البشر ، قال تعالى :
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي الْسَّلْمِ كَافَةً﴾ (سورة البقرة الآية ٢٠٨)
ولكن الناس إذا مردوا على العداون والظلم والافتیات على حق الآخرين في الحياة والعقيدة وحرية الإنسان فإن الحرب تعد وسيلة لإقرار السلام في وجه العداون على الحياة والعقيدة وحرية الإنسان ، على نحو ما يقول عبد المطلب :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسلوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم (١٢)

(١٣) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص / ٣٣-٣٣ .

(١٤) عباس العقاد : ما يقال عن الإسلام ، ص / ١٢٩ .

(١٥) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٦٣ .

(١٠) أنور الجندي : الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ، ص / ٩٩ .

(١١) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٦٠ . (١٢) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٦٣ .

طرابلس الغرب :

بني أمينا أين الخميس المدرب

وأين العوالى والحساب المدرب

إذا اهتز فى نصر الحفييف تساقطت

نفوس العدا من حله تحلب

بني مصر هذا الدين يدعوا فأقبلوا

على الله في تأييده وتقربوا

بني مصر قد رام الخلافة عشر

تنادوا على غدر بها وتألبوا

بني مصر هذا موقف العزم فانهضوا

سراعاً إلى إحرازه وتألبوا

إذا ما تناهى المسلمين فإنما

لنجدتنا كل الملك ترقب

وكم في سبيل الله من أريحية

لمصر بها رب الخلافة يشعب (٢٠)

كان عبد المطلب يستثير نوازع الخير في قلوب الأغنياء بتصوير

أحوال الفقراء وما يلاقون من بؤس وحرمان ، ومن ثم ما يقوله على

لسان فقير كثير العيال له جار غني يتقلب في ألوان العز واليسر

ولكنه لا ينعم باليسير عن حق الجحوار :

فهل درى جاءنا عيالا

غرثى إلى كسرة فقار

(٢٠) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ص / ٥٤ .

المعتدين وتنحية رؤوس الشر " (١٦) .

إن القتل في الإسلام يستهدف إقرار العدالة في الأرض وإعلاء كلمة الحق في الدنيا ، فلا قتل ، ولكن سلامه ورحمة ، وفي ذلك يقول عبد المطلب مخاطباً جنود الأعداء :

فإن يك في ملوك الأرض عدل

وفي أهل السياسة منصفونا

نرد إلى أكنتها المواضي

ونرعى فيكم الحق المصونا (١٧)

ويقول عبد المطلب في قصيدة له يحيث المسلمين على أن يحاربوا الأعداء .

بكل فتى إذا ذكر المنايا

يحن إلى مواردها حنيناً

تعلم حفظ بيضته وليداً

وأشرب حب ملقيه حنيناً

يرى أي حياة إذ أهينت

فيأبى أن يهان بأن تهونا (١٨)

ويقول عبد المطلب في قصيدة له يخوف الحكم عن عاقبة

الاستبداد والظلم :

إذا الملك لم يعط الرعية حقها

غير عجيب أن يهان ويخلعا (١٩)

ويذعن عبد المطلب المسلمين إلى دعم الخلافة العثمانية

ومؤازرتها ضد أعدائها وتبعة الشعور الإسلامي لمساندتها باعتبارها

حامية الإسلام ومن ذلك ما يقوله في الحرب بين تركيا وأيطاليا في

(١٦) سعد الدين الجيزاوي : أصياء الدين في الشعر المصري الحديث ، ص / ٢٢٥ .

(١٧) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٨٩ . (١٨) ديوان عبد المطلب ، ص / ٢٨٥ .

(١٩) ديوان عبد المطلب ، ص / ١٤٢ .

قضت أيدي الغلاء فيه م

قد حرموا رحمة التجار

ولاه مالي وسمت نفسي

بميسن الهون والصغار

دعت من لم يجب دعائي

رجوت من لم يقل عناري

ذهلت لما بكى عيالي

عن شيء السيد الورقار

يا رب أنت الرجاء فيهم

يا رازق الوحش في القفار (٢١)

ومن القصائد البلغة التي أثار بها عبد المطلب عاطفة الأغنياء
بتصوير أحوال الفقراء وما يكابدون من شظف الحياة قصيده في
"جمعية المواساة الإسلامية" التي يقول فيها:

سألت باكية الدياجي ما لها

أرقت فأرقت النجوم حيالها

باتت تكفف بالورقار مداعماً

غلب الأسى عبراتها فأسالها

فتلك هي إشارة عابرة إلى أهم الأفكار والمعاني الإسلامية التي تناولها
عبد المطلب في قصائده.

(٢١) ديوان عبد المطلب، ص/٩٢.

إلى رحمة الله تعالى: السيد محتمم عبد الغني ، في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى الوجيه الفاضل السيد محتمم عبد الغني من

سكن باتكل جنوب الهند ، وعضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، المعروف
باسهاماته الوجيهة في وجوه الخير ، وهي شخصية دينية محترمة بين أوساط
العلماء والأستانة والدعاة والتجار ، وذلك يوم الخميس ٢٨ من شهر مارس
لعام ٢٠٠٨ الموافق ١٨ من شهر ربى الأول ١٤٢٩هـ - فإن الله وإن إليه راجعون .

كان السيد محتمم عبد الغني من وجهاء بلدة باتكل في جنوب الهند ،
يرعى تجارة واسعة في مدينة "وجي واره" الصناعية ، مع أحد إخوه ومحبيه ، وقد
ترك فراغاً في العمل التجاري ، لا يسله إلا الله تعالى ، كان يأتي إلى ندوة العلماء
بناسبة انعقاد المجلس التنفيذي ، ويتفقد الأحوال ، ويسهم في إنجاز بعض
المشاريع التعليمية والتربوية ، ويرى رأيه فيها ، وقد كانت علاقته مع سلامة
الإمام الرباني والعلامة الكبير الشيخ أبي الحسن علي الندوبي ، مخلصة ،
ذلك مع علماء دار العلوم لندوة العلماء ، وأساتذتها ومدرسيها ، كما أن
سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي كان يحبه ويقدر
جهوداته الدينية ويستشيره في بعض الشؤون .

كان في مقدمة الجماعة المخلصين الذين أنشأوا الجامعية الإسلامية في
باتكل وجعلوها فرعاً ذا أهمية لدار العلوم لندوة العلماء ، كما أنه كان من
أنشأوا "أكاديمية الشيخ أبي الحسن علي الحسني" في باتكل وأنفق عليها من
جيبه الخاص ما كانت تحتاج إليه في توسيعة نطاق فوائدها وبرامجها الدعوية
والتربيوية ، وكان يهتم بكل ما يكون في صالح الدين ، ورفع معنوية المسلمين .
رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وتقبل صالح أعماله ، وجزاه عليهما
في آخرته بجنات ونعميم ، وألم أهلها وذويه وجميع العاملين معه الصبر والسلوان ،
فإنه المولى الغفور الرحيم .

الاستاذ الشيخ محمد صديق الندوبي الرأي بريلوي في ذمة الله تعالى

في اليوم العاشر من شهر ربى الأول لعام ١٤٢٩هـ الموافق ١٨ من شهر

يونيو ٢٠٠٨ م

٩٧/٩٧

٤ - ج ٥٣ جمادى الآخرى ١٤٢٩هـ

بشكل تطوعي .

وكان نجله العزيز موظفاً لدى الحكومة الهندية في دلهي ، وهو الأخ العزيز محمد علي جوهر ، ففور ما سمع نباء وفاة والده توجه إلى بنته بالطائرة ، ومنها إلى قريته لكي يشارك هموم وفاة والده ويصلى عليه ويودعه إلى ملجه الأخير في الدنيا ، وذلك بسيارة أجرة إذ حدث اصطدامها بسيارة حافلة ، فلقى مصرعه في نفس الساعة ، فإن الله وإنما إليه راجعون .

وبهذا صدمت أسرتها بصدمة في وقت واحد ، فكان ذلك مصاباً مزدوجاً وقضاءً من الله تعالى محتمماً ، والإراد لقضاءه .

ونحن إذ نعزي أسرة الراحلين وجميع أعضائهم نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمدهما بواسع رحمته ، ويعفر لهم زلاتهما ويكرمهما بأحسن جزاء في الآخرة ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

رحيل والدة الشیخ محمد عامر الحسني الندوی إلى دار الآخرة

لقد كان نباء وفاة والدة الأخ الجليل الشیخ محمد عامر الحسني الندوی في بلدة فتح فور "هنسو" في يوم الاثنين ١٤ من ربیع الثانی ١٤٢٩هـ الموافق ٢١ من شهر أبریل عام ٢٠٠٨م فكان النباء بعث حزن كبير ، سیما وكانت الراحلة من أسرة الإمام الربانی العلامة الشیخ أبي الحسن على الحسني الندوی رحمه الله ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

كانت والدة الشیخ محمد عامر الحسني الندوی من فضليات الأمهات الالاتی يربین أولادهن على خلال الدين والتقوى ، وكانت أنسن من افراد العائلة لوجودين ، ورعة زاهدة تقیة صلحة ، غفر الله لها وأدخلها جنان الرحمة وجعلها خير خلف لخير سلف ، وقد صلی عليها سعاده الشیخ العلامة الكبير محمد الرابع الحسني الندوی .

إننا نعزي الشیخ محمد عامر الندوی الحسني وجميع أعضاء الأسرة الحسنية وندعو الله سبحانه وتعالى أن يلهمهم الصبر الجميل ويسوفهم للدعاء الخالص للراحلة الكريمة ، يقول جل من قائل : **«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفَنُ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** .

مارس ٢٠٠٨م ارتحل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الشیخ محمد صدیق الندوی مدير مدرسة دار العلوم بقرية "سیدھونا" بمديرية رائے بریلی ، بولاية اترابردیش ، وهي مدرسة ملحقة بدار العلوم ندوة العلماء في المناهج الدراسية ، ولكنها مستقلة في نظامها المالي والإداري ، وقد تطورت أيام إدارته لها ، وتتوسع نطاقها باشراف سعاده الشیخ السيد محمد حمزہ الحسني الندوی ورئيسه ، كان للراحل الكريم دور كبير في إنعاش مستوى التعليم وال التربية فيها عاشر ٥٥ / عاماً حافلاً بأعمال تعليمية و تربوية ، كان مدرساً ناجحاً ومديراً بارعاً له في هذا المجال أعمال وجهود مذكورة مشكورة ، فقد سبق أنه قام بوظيفة التعليم والتربية وتدريس المواد الدينية في مدرسة ضياء العلوم بجوار دارة علم الله الحسني ، والتي أنشأها سماحة العلامة الكبير الشیخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوی رحمه الله وكانت مركز توجهاته ، وبذلك نالت المدرسة قبولاً واسعاً ، و يؤمها طلاب العلم والدين من أنحاء البلاد القريبة منها والبعيدة ، كان الراحل الكريم تقىاً صلحاً متواضعاً بالغاً من العمر ٥٥ عاماً ، فإنما الله وإنما إليه راجعون ،

صلی عليه سعاده العلامة الشیخ السيد محمد الرابع الحسني الندوی رئيس ندوة العلماء في حشد من المصليين ودفن بمقبرة قرية نواوان قرب مدرسة إصلاح المسلمين ، تغمده الله تعالى بفضله ورحمه رحمة واسعة وغفر له زلاته وتقبل منه صالح أعماله ، وأكرمه بالحننات والنعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

فضیلۃ الأخ الشیخ عبد الله الندوی إلى رحمة الله تعالى
فوجئنا بنباء وفاة فضیلۃ الأخ عبد الله الندوی ، أحد أبناء هذه الدار ، ومن سكان مديرية سہرسا بولاية (بهار) الهند ، ومن خريجي ندوة العلماء في الخمسينيات من القرن العشرين ، وذلك في اليوم التاسع من شهر ربیع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ١٨ من شهر مارس لعام ٢٠٠٨م يوم الثلاثاء في موطنہ بولاية بهار عن عمر يناهز ٧٥ عاماً ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم ذا صلة وطيدة بدار العلوم لندوة العلماء والمسؤولين عنها ، فكان يزور الندوة حيناً آخر ويقضى بعض الوقت فيها ، وقد عمل في جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مدة في وظيفة تدريبية للطلاب

والدة الأخ الشیخ محمد أمین الندوی إلى رحمة الله تعالى

أخبرنا الأخ العزيز الشیخ محمد أمین الندوی من مدينة باتکل جنوبی الهند بوفة والدته العزیزة بعد ما فوجئت بشلل في جنبها الأيسر ، ورغم جميع المعالجات الناجعة والأخذ التدابیر الازمة من العلاج لم يكتب لها الشفاء ، وانتقلت إلى رحمة الله تعالى في ٢٩ من شهر مارس لعام ٢٠٠٨ المصادف ٢٠/٢٩ من شهر ربیع الأول ١٤٢٩هـ يوم السبت ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من السيدات المتدينات في هذه البلدة فقد كانت تهتم بأعمال الخير والبر والتطوع بعد أداء الفرائض والعبادات ، وكان الناس يعرفونها بتورعها وتقواها ، وقد قامت بتربية أولادها في ضوء تعاليم الإسلام فأحسنت .

ونحن إذ نعزي الأخ العزيز محمد أمین الندوی على هذا المصايب الجليل ندعوه الله سبحانه وتعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويغفر لها زلاتها ، ويكرمهها بالجنات والنعيم ، ويلهم جميع أعضاء الأسرة الصبر الجميل ، فإن الله تعالى يحب الصابرين .

فضیلۃ الحاج إکرام باری فی ذمۃ الله تعالیٰ

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضیلۃ الحاج إکرام باری ، أحد وجهاء مدينة مرادآباد الصناعية بولاية اترابردیش الهند ، كان قد أکرمته الله سبحانه وبحصان کریمة من الخدمات الدينية والاجتماعية والعلیمية ، وبالاتصال بجميع طبقات البلد ، والاهتمام بشئونهم ومشکلاتهم ، فقد كان رئيس التعليم الدينی لمدينة مرادآباد ، والمشرف على الكتاتیب التي أنشئت لتعليم وتحفیظ القرآن الكريم ، كما كان له دور أساسی في إنشاء جامعة للبنات المسلمات في مرادآباد ، وطالما كان يزور ندوة العلماء ويقضی بعض الوقت مع سلحة العلامة الإمام الندوی (رحمه الله تعالى) .

استجابة لنداء ربه يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر فبراير ٢٠٠٨ الموافق ١٨ من شهر صفر ١٤٢٩هـ ، فإنما الله وإنما إليه راجعون ، تغمدته الله بواسع رحمته وغفر زلاته ، وأکرمته بجنته وأهلها وذويه الصبر الجميل يقول الله تعالى : «وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
مؤسسة الصحافة والنشر ، ص.ب ٩٣
ندوة العلماء ، لكناو (الهند) ٢٢٦٠٠٧

ALBAAS-EL-ISLAM

Majlis Sahafat-wa-Nashriyat
P.O Box 93, Nadwatul Ulama
LUCKNOW-UP. 226007 (India)

(رسالة أخوية مهمة)

حفظه الله تعالى للإسلام

حضره الأخ القاری الكريم !
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتبعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهدافـة ، تصدر من ٥٢ عاماً بالاستمرار ، وهي تجـاز الآن عـامـها الثـالـثـةـ والـخـمـسـينـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ ، وـنـرـجـوـ اللـهـ سـبـحـانـهـ آنـ يـوـفـرـ لـإـتـامـهـ جـمـيعـ الـوـسـائـلـ الـلـازـمـةـ ، وـيـجـعـلـ التـوـفـيقـ حـلـيفـ الـعـلـمـ وـالـعـالـمـيـنـ .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة وهي بآمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسيع نطاق مشتركيـن جـددـ من جـمـلةـ إـخـوانـكـمـ وـأـصـدـقـائـكـمـ ، ولـكـمـ مـنـ الشـكـ الجـزـيلـ وـمـنـ اللهـ تعالـىـ حـسـنـ القـبـولـ .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لحكومة المخلص

可以更好 (الرواقي التروي)

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - لكناو (الهند)

بالعنوان التالي :
مکتب : "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص.ب ٩٣
لكناو (الهند)

